الفصل الرابع

كتاب
معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

المجلس الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله الذي نور صباحه بالاشتمال على أشتات
الحمد وأدام استقلاله بالاستيلاء على المحامد المشتتة عن اجتلاء
الجلال بمشتبهة الخلال بالإحلال بالمغتصبة بالشوال
لصلة الشوال حاجل الأرض تبدو كأنها مستعيرة
الأخوان بالحلاوة لعرس الأطوال مصبغة بالحماس
والمفالج عند اعتبار الصناع والإضاع والصلع
والأعمال على التحصيل والإجمال فمن فاز خيرها
بمزيد حل بحبحة خطوة الاعتدال ومن قصر خيرها
عن سببها أهلاك متعاضده بالاشتمال
ومن أوتي خيرها على شره وجب إليه ضر الرجال والنساء
بتقصير صلاح الحال وخيرها اغتبط الناس بأوكامها
محصولك الجبال على خفة البال وجاز والله الرجال الأفضل

حكمه اعتبار رفع اسمائه وتقبيلها به من
اليمين بخنصره ليمنى يده غير أهل الأمر لوجه العرض وتقبيل
وجه مثل من الأفضل عليكم الأمور والصلوة على سيدنا محمد.
تخصص الله بتفرد عزته توارده الكمال على الكمال
وجب ترفع الاعلاء وتنزيه الحرام من الخلاء والرضا عن
الصعب والذلول أشهد بتفرد عاطل التفرد وأن
المتفرد جائز لا نفاذ وأن تصب بالحسنا وإبانة الجلاء
لما كان يتعصب بتغضر جفن تيبسها كان وحيني الله
مؤونة الله تعلم بها حاجة لا تسعها انتهاء الزمن خمامه
وافتلاله على بساسة يؤمن بعما اختلابه وانتظام من الله
بتغزيها فزار وسوحيا لنهار وكرت وجاز وإذا رابه
أضاره وتختني بها افواته فتى بها حياته وتخاذل
منه معاشه اليوم انتعاشه جاز تخاذل تخاذها
جزاها وانتعافا واجتناء بتغض الكاب وارتعافا
تبا ولشهادها وحيها وتعارض نبعها وضبعها وتطلب

المجلس الثاني

قال الخبيث فلما ابتدر مني جرح العواق عوضون وزمان
متشوء، وعشى ثم تشزر تكي وقضون وقضون خطاب
وخطاب قضون بلسان ناقة يقوم بعض الشوق
بعض رمح الأرق وعشارة ثم تنسل من كل حدب
وتنشب من كل منشز وتمايز تشعل للصلاة
بلسوبها، وتبث نعمة يشوبها مستلبط بالشهاء
وموكنين بالماء وحاعد من غوث وتظلم من جوش وجمد
بزنب عيرها أو زوف ثعوة بمرجوش ومن راحوات يزجون
كأنهم نشر ما وقد برزت تلمس من مرمى ما مرس يشبون

باجتماعة راكسيد وتشتا تهوى على ماء القلب وأشار
الأخيشة، وقد اضطغنا أبجر المرزبا وعمر الفتوة وانجدر
وتصوب الظباء حلقة الشعير وعشرة الزهرة وشرث يدارك
المجتمع، الواحد الزاي والبتع، الواحد زبعة، وضاحية
وضاحة جمعون يضربون الفحل وفحول، وجمع كمل فراشتق
بقيطون، وسل سبب الأمر وتحوى وهبة لريح وتراوا التقبون
فراشتمل بخمل غبارة، وشر بقيعة غبارة جلد غبارة، ويخمر من
الخمار كغبارة، والواحد تلميذ فرشتمل الكمام، والتفت الأقلف
زرأة عقلة، وحرب لوجي الفحل المتمام، وتمرا مر ويخرج
ويتكلم بلسان الغرام يشرخ، ويفتحل من خرج بغير الخرجة
فلا يشرخ، ويفعول أبي الفتح الشارخ، والي بلسان وربا لوبه
الفتاريخ، والبيت الذي تفتات يوادا البقي للوارخ، صي فتح
عني رت اغتنامكم، لملاقاة نسائكم وأبنائكم، وتمتلئ تحرجن
بعدائكم، وجعلتم تعقرون وتجمعون الماء تستعيب الذي تجمعون
وزعمت علي منكم عتيد يغفر لكم تماح أفضل الذي ازعمتيت

* ومن عجب الحياة أن ضني به ... كلام يفشر
* والمرء ينشر بعد موت ذكره ... أبدا ويطوى بالتراب ويقبر
* وكم من شخص جاء ذكر اسمه ... أو نحو
* والناس تبنى الزجاج إذا عفت به ... تكسر
* لا تغرم التقوى فرقع الفضة البيض تعثر
* وذا الزجاج إذا ما قيل ليس خلق فهو أحسن

ثم ضرب جنب اليمين واعتلف وتعمم وتركه أتعرف الشارة
وكان نظيم جاء لاستعارة ... تمت ونعمة

ممن على بنيه الكلام جاما ... كالشمس وهو منهم
عبس

جمع ولو خلوا عن انتسابها ... من لؤلؤ غر الحديث
نسابها فطم ... وما أبو الطيب المتنبي

بناة تسمو عن فخرها وعلاها ... ومبسمها الدري عن الحسن والنعم

معيـــار الاختيار ، فى ذكـــر المعاهـــد والديـــار

المجلس الاول :

(97 : أ) بسم الله الرحمن الرحيم • صلى الله على سيدنا محمد •

الحمد لله الذى انفردت صفاته بالاشتمال علـــى أشتات الكمال ، والاستقلال بأعباء الجلال ، المنزه عن احتلال الحلال ، المتصفة الخـــلال بالاختلال ، المعتمد بالسؤال لصلة النوال ، جاعل الارض كسكانها متغايرة الاحوال ، باختلاف العروض والاطوال ، متصفة بالمحاسن والمقابح عند اعتبار الهيئات والاوضاع والصنائع والاعمال ، على التفصيل والاجمال . فمن قام خيره بشره دخل تحت خطة الاعتدال ، ومن قصر خيره عن شره ، كان أهلا للاستعاضة والاستبدال ، ومن أربى خيره على شره وجب اليـــه شد الرحال ، والتمس بقصده صلاح الحال . وكثيرا ما اغتبـــط الناس بأوطانهم فحصلوا فى الجبال على دعة البال ، وفازوا فى الرمال بالآمال ، (97 : ب) حكمة (منه) فى اعتمار ربع الشمال ، وتفيـــىء أكنافه عـــن اليمين والشمال ، الى أن يدعو أهل الارض لموقف العرض والسؤال ، ويذهل ــ عن الاهل ــ عظيم الاهوال . والصلاة على سيدنا (ومولانا) (1) محمـــد المصطفى الـــذى أنقـــذ بدعوتـــه الوارفة الظلال من ظلمـــات الضلال ، وجاء برفع الاغلال ، وتمييز الحرام من الحلال . والرضا عمن له من الصحب والآل ، (**موارد الصدق عند كذب الآل**) (2) •

---

1) زيادة فى « س ، ط »
2) زيادة فى « س » .

أما بعد، ساعدك السعد، ولان لك الجعد (3)، فان الانسان ــ وان انصف بالاحسان ، وابانة اللسان ، لما كان بعضه لبعض فقيرا ، نبيها كان أو حقيرا . اذ مؤنه (4) التى تصلح بها حاله . لا يسعها انتحاله ــ لــزم اجتماعه وائتلافه على سياسة يؤمن معها اختلافه ، واتخاذ مدينة يقر بها قراره ، ويتوجه اليها ركونه وفراره ، اذا رابه أضراره . ويختزن بهــا أقواته التى بها حياته ، ويحاول منها معاشه الذى به انتعاشه . فان كان اتخاذها جزافا واتفاقا ، واجتزاء ببعض المآرب وارتفاقا ، تجاول (5) شرها وخيرها ، وتعارض نفعهــا وضيرها ، وفضلهــا ــ (98 : أ) فى الغالب ــ غيرها ، وان كان عن اختيار ، وتحكيم معيار ، وتأسيس حكيم ، وتفويض للعقل وتحكيم ، تنافر الى حكمها النفر ، وأعمل السفر ، وكانت مساوئها ــ بالنسبة الى محاسنها ــ تغتفر ، اذ وجود الكمال فاضــح للآمال ، ولله در القائل :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المــرء فخرا أن تعد معايبــه

وبحســب ذلــك :

حدث من يعنى بالاخبار ينقلها ، والحكم يصقلها ، والاسمار ينتقيها، والآثار يخلدها ويبقيها ، والمجالس يأخذ صدورها والآفاق يشيم (6) شموسهــا وبدورها ، والحلل يعرف دورهــا ، ويأكل قدورها ، والطرف يهديها ، والخفيات يبديها . وقد جرى ذكر تفضيل البلدان ، وذكر القاصى والدان ، ومزايا الاماكــن ، وخصائص المنازل والمساكن ، والمقابــح والمحاسن ، والطيب والآسن (7) .

---

3) الجعد : فى الاصل هو الشعر غير المنسق ، والسياق ينصرف الى اللئيم البخيل.
4) فى نسخة (س) « مؤنتة » بدل « مؤنه » .
5) تجاول : يقال ، تجاول القوم فى الحرب ، اى جال بعضهم على بعض .
6) يشيم : يعلم ، يقصد انه ذو دراية بمطالع الشمس والقمر فى هذه البلاد
7) الآسن : من الماء المتغير الطعم واللون والرائحة .

قال : ضمنى الليل وقد سدل المسح راهبه ، وانتهب قرص الشمس من يد الامس ناهبـــه ، ودلفت جيوشه الحبشية (98 : ب) وكتائبـــه ، وفتحت الازهار بشط المجرة كواكبه ، وجنحت الطيور الى وكونهـــا ، وانتشرت الطوافات بعد سكونها ، وعوت الذئاب فوق هضابها ، ولوحت البروق ببيض عضابها ، وباهت الكف الخضيب بخضابها ، وتسللت اللصوص لانتهاز فرصها ، وخرجت الليوث الى قسمها وحصصها ، فى منـــاخ رحب المنطلق ، وثيق الغلق ، سامى السور ، كفيل بحفظ الميسور ، يأمن ــ بـــه الذعر ــ خائفه ، وتدفع ــ معرة السماء ــ سقائفه ، يشتمل على مأوى الطريد ، ومحراب المريد ، ومرابط خيل البريد (8) ، ومكاسع الشيطـــان المريد . ذى قيم كثير البشاشة ، لطيف الحشاشة ، قانع بالمشاشة . يروح ويشى ، ويقف على ريب الاعيان وأعيان الريب فلا يشى . بـــر فأكثر ، ومهد ووثر ، وأدفأ ودثر ، **(ورقى بسور استنزاله فأثر)** (9) .

فلما أزحت الكلفة ، وأقضمت جوادى العلفة ، وأعجبتنى ــ من رفقاء الرفق ــ الالفة ، رمقت فى بعض السقائف آمنا فى زى خائف ، وشيخا طاف منه بالارض طائف ، وسكن حتى اليمامة والطائف . جنيب (99 : أ) عكاز ، ومثير شيب أثيث الوفرة ، وقسى ضلوع توتر بالزفرة ، حكم له بياض الشيب بالهيبة ، وقد دار بذراعه للسبحة الرقطاء حنش ، كما اختلط روم وحبش . والى يمينه دلو فاهق (10) ، وعن يساره تلميذ مراهـــق ، وأمامه حمار ناهق ، وهو يقول :

هـــم أسكنونا فى ظلال بيوتهـــم ظـــلال بيـــوت أدفـــأت وأكنـــت
أبـــوا أن يملونا ، ولو أن أمنـــا تلاقى الذى يلقون منـــا لملـــت

---

8) مكاسع : مطارد ، مكان الطرد .
9) زيادة فى نسخة « مس » .
10) فاهق : ممتلىء .

حتى اذا اطمأن حلوله ، وأصحب ذلوله (11) ، وتردد الى قيم الخان ــ زغلوله (12) ، واستكبر لما جاءه ــ بما يهواه ــ رسوله ، استجمع قوته واحتشد ، ورفع عقيرته وأنشد :

أشكو الى الله ذهاب الشباب ... كم حسرة أورثني واكتئاب
سد عن اللذات باب الصبا ... فزارت الاشجان من كل باب
وغربة طالت فما تنتهي ... موصولة اليوم بيوم الحساب
وشر نفس كلما هملجت (13) ... في الغي لم تقبل خطام المتاب
يا رب شفع في شيبي ولا ... تحرمني الزلفى وحسن المآب

ثم أن ، والليل قد جن ، فلم يبق ــ في القوم ــ الا من أشفق وحن ، وقال ــ وقد هزته أريحية ــ (99 : ب) : على الدنيا سلام وتحية ، فقد نلنا الاوطار ، وركبنا الاخطار ، وأبعدنا المطار ، واخترقنا الاقطار (14) ، وحلبنا الاشطار (15) . فقال فتاه ــ وقد افترت عن الدر ثغتاه ، مستثيرا لشجونه ، ومطلعا لنجوم همه من دجونه ، ومدلا عليه بمجونه ــ : وماذا بلغ الشيخ من أمدها ، ورفع من عمدها ، حتى يقضي منه عجب ، أو يجلى منه محتجب ؟ فأخذته حمية الحفاظ لهذه الالفاظ ، وقال : أي بني ، مثلي من الاقطاب ، يخاطب بهذا الخطاب ! ! وأيم الله لقد عقدت الحلق (ولبست من الدهر الجديد والخلق) (16) ، وفككت الغلق ، وأبعدت في الصبوة الطلق ، وخضت المنون ، وصدت الضب والنون ، وحذقت الفنون ،

---

11) ذلوله : دابته السهلة القياد .
12) زغلوله : غلامه الخفيف السريع .
13) هملجت : الهملجة ، المشي في سرعة .
14) في نسخة « س » وافترقنا ، ولعلها في نسختنا اصوب .
15) حلبنا الاشطار : يقصد جربنا خير الدهر وشره ، فعرفناهما .
16) زيادة في « ط ، س » .

وقهرت ـ بعد سليمان ـ الجنون ، وقضيت الديون ، ومرضت لمرض العيون . وركبت الهمالج (17) ، وتوسدت الوذائل (18) والدمالج ، وركضت الفاره ، واقتحمت المهالك والمكاره ، وجبت البلاد ، وحضرت الجلاد ، وأقمت الفصح والميلاد . فعدت من بلاد الهند والصين ، بالعقل الرصين ، وحذقت بدار قسطنطين (19) كتاب اللطين (20) ، ودست مدارس أصحاب الرواق (21) ، ورأيت غار الارواح وشجر الوقواق ،

---

17) الهمالج : الابل تمشى فى سرعة .

18) الوذائل : ج وذيلة ، وهى الرشيقة من النساء .

19) قسطنطين : ملك من ملوك الروم ، سميت حاضرة ملكه باسمه (القسطنطينية) وهى مدينة قديمة كانت مسورة باسوار حصينة تبلغ المائة ، أحدها (باب الذهب) ، انظر ياقوت الحموى فى معجم البلدان ج 15 ص 347 .

20) كتاب اللطين : يعنى به « اللاتينية » .

21) أصحاب الرواق : يقصد الرواقيين ، وهم فرقة من الفلاسفة القدماء ، ينسبون الى الرواق ، الذى كان يعلم زينون ـ Zenon الرواقيين Stoiciens تحته ، وقد نشأت هذه الفرقة فى القرن الرابع قبل الميلاد ببلاد الاغريق ، تنقسم عندهم الفلسفة الى المنطق والطبيعة وعلم الاخلاق ، ولا يفصلون العناية الالهية عن القضاء ، كما انهم لا يميزون بين المادى والروحى ، وأن الكون يسوده النظام، ويسوسه المنطق ، وان على الانسان ان ينظم نفسه ، فيحتل مكانه فيه . وبهذا تحققت عندهم فكرة الوحدة الكونية ، فى وقت لم يكن العلم الطبيعى عند الاغريق كثيرا ، ولكن كان حدسهم شديدا ، ونظراتهم الثاقبة كثيرا ما كانت تصيب .

أما عن زينون الرواقى فهو مؤلف هذا المذهب (نحو 340 ـ 265 ق م) فقد ولد فى بلدة كتيوم Cition بجزيرة قبرص ، وجاء بعد الى اثينا ، وهو من أصل فينيقى ، وأكثر من وسعوا المذهب كانوا أسيويين اكثر منهم اغارقة ، ويعد المذهب آخر مجهود فلسفى فى اليونان الوثنية .

هذا ، وممن آمن بوحدة الكون فى العصور الوسطى كتاب الاديان الثلاثة ، فمن المسلمين ابن رشد (1126 ـ 1198 م) ، ومن المسيحيين كثيرون ، ومن اليهود القباليون Kabbalists ، ثم جاء عصر النهضة بأوربا فأحيا مبدأ الوحدة الكونية بين اهلها ، وانبرى عدة فلاسفة ينادون بها ، متأثرين بالفلسفة الافلاطونية ، وبما رسمه المذهب من آداب ، ومنهم شكسبير ، وشلر ، وكنط. راجع : د. احمد زكى (مجلة العربى) عدد 134 يناير 1970 م .

وشربت حلل اليمن (100 : أ) ببخس الثمن (22) ، وحللت من عدن (23) حلول الروح من البدن ، ونظرت الى قرن الغزالة لما شدن (24) ، وأزمعت عن العراقين (25) ، سرى القين ، وشربت من ماء الرافدين باليدين ، وصليت بمحراب الدمنى ركعتين ، وتركت الاثر للعين ، ووقفت حيث وقف الحكمان (26) ، وتقابل التركمان (27) وأخذت بالقدس ، عن الحبر الندس ، وركبت الولايا ، الى بلاد العلايا (28) ، بعد أن طفت بالبيت الشريف ، وحصلت بطيبة على الخصب والريف ، فى فصل الخريف ، وقرأت بأخميم (29) علم التصريف ، وأسرعت فى الانحطاط الى الفسطاط (30) ،

---

22) فى نسخة س « بابخس ثمن » وكلاهما بمعنى .

23) عدن : عاصمة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، تقع على ساحل البحر الاحمر جنوب غربى الجزيرة العربية ، لها شهرة تجارية واسعة بفضل موقعها .
انظر : معجم البلدان ، للحموى ، ج 13 ص 89 .

24) فى نسخة (س) « اذا » بدل « لما » ، ولعلها فى نسختنا أصوب .

25) العراقين : البصرة والكوفة بالعراق ، مدينتان لهما أصالتهما العلمية ولاسيما فى عصر الامويين والعباسيين .

26) الحكمان : هما ابو موسى الاشعرى ، وعمرو بن العاص ، لما احتكم اليهما على بن ابى طالب ، ومعاوية بن ابى سفيان ، عقب وقعة صفين (37 هـ = 657 م) فى أمر الخلافة ، وانتهت بتولى معاوية .
أنظر « وقعة صفين فى :
ا) المسعودى فى « مروج الذهب » ج 2 ص 20 — 22 .
ب) الطبرى — فى « تاريخ الامم والملوك » ج 6 ص 33 — 43 .

27) التركمان : قبيلة أخضعها التتار ، تعرف منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، وتعيش الآن فى تركستان الغربى ، وايران ، وما وراء القفقاس .

28) العلايا : مدينة ساحلية بآسيا الصغرى ، اسسها علاء الدين كيقوباذ عام 1220 م .

29) أخميم : مدينة أثرية على شاطىء النيل الشرقى بمصر ، محافظتها « سوهاج »
انظر : معجم البلدان ج 1 ص 123 .

30) الفسطاط — مدينة انشأها الفاتح لمصر عمرو بن العاص عام (20 هـ = 640 م) مكانها « مصر القديمة » حاليا احدى ضواحى القاهرة .

والمصر الرحب الاختطاط ، وسكنت مدينة الاسكندرية (31) ثغر الرباط ، وعجلت بالمرور الى التكرور (32) ، فبعث الظل بالحرور ووقفت بأشبانية الى الهيكل المزور ، وحصلت بافريقية على الرفد غير المنزور ، وانحدرت الى المغرب ، انحدار الشمس الى المغرب ، وصممت تصميم الحسام الماضى المضرب ، ورابطت بالاندلس ثغر الاسلام ، وأعلمت بها تحت ظل (33) الاعـــــلام .

فآها ــ والله ــ على عمر مضى ، وخلف مضضا (100 : ب) وزمن انقضى ، وشمل قضى الله من تفرقه ما قضى ، ثم أجهش ببكائه ، وأعلن باشتكائه ، وأنشـــد :

لبسنا فلـــم نبل الزمان وأبلانـــا ... يتابع أخرانا ــ على الغى ــ أولانا
ونغتر بالآمال ، والعمر ينقضـــى ... فما كان ــ بالرجعى الى الله ــ أولانا
وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسى ... فما انقاد للزجر الحثيث ولا لانـــا
جزينـــا صنيع الله شر جزائـــه ... فلم نرع ما ــ من سابق الفضل ــ أولانا
فيـــا رب عاملنـــا بما أنت أهلـــه ... من العفو ، واجبر صدعنا ، أنت مولانا

ثـــم قـــــال :

لقـــد مات اخوانـــى الصالحـــون ... فمالـــى صديق ولا لـــى عمـــاد
اذا أقبـــل الصبح ولى الســـرور ... وان أقبـــل الليل ولـــى الرقـــاد

---

31) الاسكندرية : العاصمة التجارية لجمهورية مصر العربية ، وتقع على ساحل البحر المتوسط ، بناها الاسكندر المقدونـــى .
انظر ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 2 ص 182 .

32) تكرور : شعب من الزنج يسكن الجزء الاكبر من وهاد « فوتة » السنغاليـــة ، ويعرف باسم Foucouleur وفى نسخة (س) « تكرور » بدل « التكرور ».

33) فى نسخة اخرى « ظلال » بدل « ظل » ، وكلاهما بمعنى .

فتملكتنى له رقة ، وهزة للتماسك مسترقة ، فهجمت على مضجعه هجوما أنكره ، وراع شاءه وعكره (34) ، وغطى بفضل ردنه سكره ، فقلت له : على رسلك أيها الشيخ ، ناب (35) حنت الى حـوار (36) ، وغريب أنس بجوار ، وحائر اهتدى بمنار ، ومقرور قصد الى ضوء نار ، وطارق لا يفضح عيبا ،(ولا يثلم غيبا)ولا يهمل (37) شيبا ، ولا يمنـع (101 : أ) سيبا ، ومنتاب يكسو الحلة ، ويحسن الخلة ، ويفرغ الغلة ، ويملأ القلة .

أجارتنـا : انـا غريبان ها هنـا وكل غريب ـ للغريـب ـ نسيب

فلما وقم الهواجس وكبتها ، وتأمل المخيلة واستثبتها ، تبسم لما توسم ، وسمح بعد ما جمح ، فهاج عقيما فتر ، ووصل ما بتر ، وأظهر ما خبأ تحت ثوبه وستر ، وماج منه البحر الزاخر ، وأتى بما لا تستطيعه الاوائل ولا الاواخر . وقال ـ وقد ركض الفنون وأجالها ، وعدد الحكم ورجالها ، وفجر للاحاديث أنهارها ، وذكر البلدان وأخبارها ـ :

ولقـد سئمـت مـآربـى فكـأن أطيبهـا (38) خبيـث

الا الحـديـث فـانـه مثل اسمه ـ ابـدا ـ حديـث

فلما ذهب الخجل والوجل ، وطال المروى والمرتجل ، وتوسط الواقع ، وتشوفت للنجوم المواقع ، وتوردت الخدود الفواقع ، قلت : أيها الحبر ، واللج الذى لا يناله السبر ، لا حجبك ـ قبل عمر النهاية ـ القبر ، ـ وأعقب كسر أعداد عمرك ـ المقابلة بالقبول والجبر ، كأنا بالليل قد أظهر ـ لوشك الرحيل ـ (101 : ب) الهلع ، والغرب الجشع لنجومه

---

34) عكره : ابلـه .
35) ناب : الناب هى الناقة المسنة .
36) حوار : بفتح الحاء وضمها ، ولد الناقة .
37) يقصد : أنه لا يعيب أحدا فى غيبته ، وقد وردت هذه الجملة فى نسخة (س) .
38) فى نسخة (س) « فكان » بدل « فكأن » وهو ما لا يستقيم وزنا .

قد ابتلع ، ومفرق الاحباب ــ وهو الصبح ــ قد طلع ، فأولنى عارفة من معارفك أقتنيها، وأهززلى أفنان حكمك أجتنيها، فقال : أمل ميسر ، ومجمل يحتاج أن يفسر ، فأوضح الملغز ، وابن لى الطلا (39) من البرغز (40) . وسل عما بدا لك ، فهو أجدى لك ، فأقسم لا تسألنى عن غامض ، وحلــو وحامض ، الا أوسعته علما وبيانا ، وأريتك الحق عيانا .

قلت : صف لى البلاد وصفا لا يظلم مثقالا ، ولا يعمل ــ فى غير الصدق ــ وخدا ولا ارقالا (41) ، واذا قلتم فاعدلوا (42) ؛ ومن أصدق من الله مقالا (43) فقال : سل ، ولا تسل ، ولو راعك الاسل . قلت : انفض لى البلاد الاندلسية من أطرافها ، وميز ــ بميزان الحق ــ بين اعتدالهــا وانحرافها ، ثم اتلها بالبلاد المرينية (44) نسقا ، واجل ــ بنور بيانك ــ غسقــــا :

---

39) الطلا : ولد الظبى ساعة ولادته ، والجمع « اطلاء » .

40) البرغز : ولد البقرة ، ويقصد بالعبارة : اوضح غرضك وفصله .

41) الوخد والارتال : نوعان من السير السريع للابل .

42) اقتباسا من قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، واوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » سورة الانعام ، آية : 152 .

43) اقتباسا من قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها ابدا ، وعد الله حقا ، ومن أصدق من الله قيلا » سورة النساء ، آية : 122 .

44) البلاد المرينية : البلاد المغربية ، نسبة الى بنى مرين الذين حكموا هذه البلاد فى الفترة من 668 ــ 869 هـ (1269 ــ 1265 م) وكانت عاصمتهم فاس .

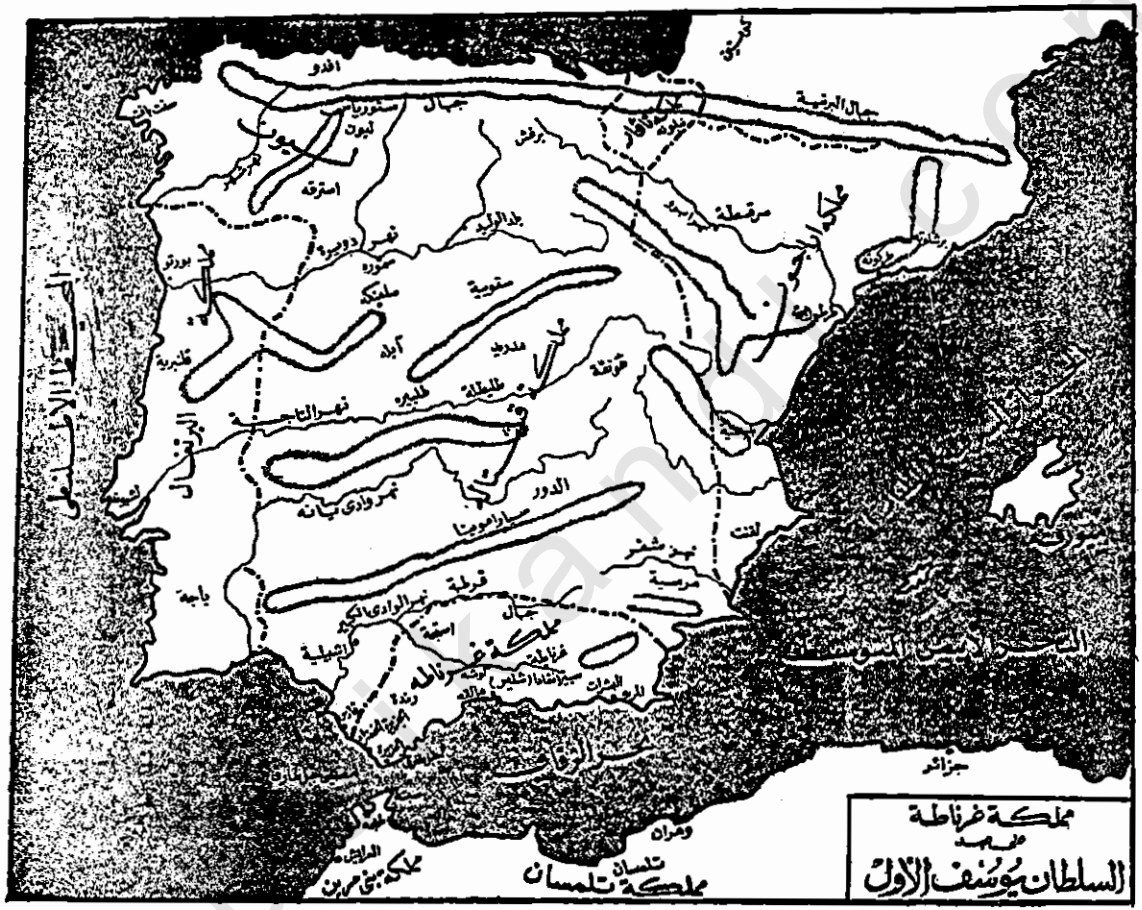

خريطة مملكة غرناطة ، يقابلها الجزء الشمالى من مملكة بنى مرين المغربية، وذلك فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى

جـــبـــل طـــــارق

« منظر جبل طارق من البحر »

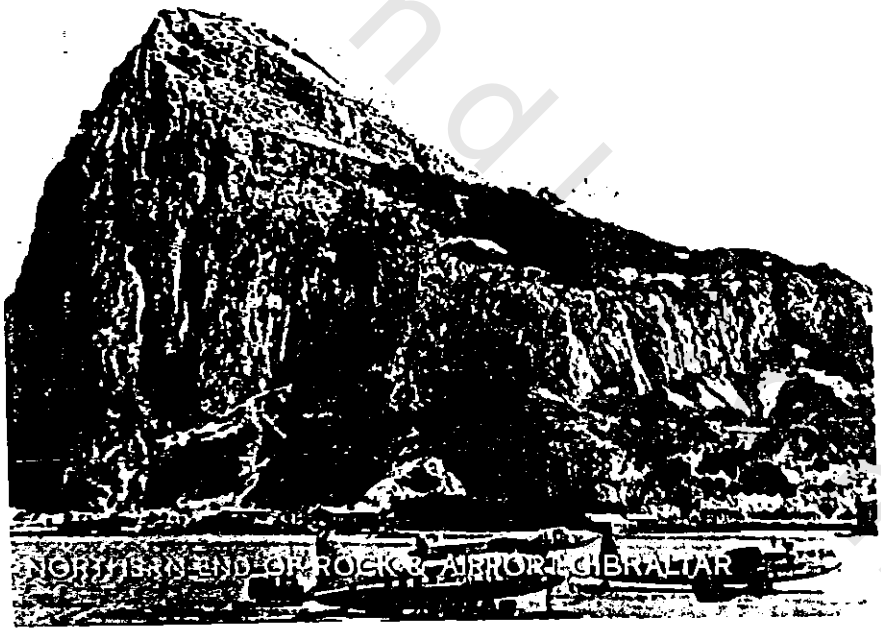

« منظر راس الصخرة »

وهات ما تقول فى « جبل الفتح » (46) :

1 ــ « جبـــل الفتـــح »

قال : فاتحة الكتاب من مصحف ذلك الاقليم ، ولطيفة السميع العليم، وقصص المهارق (47) ، وأفق البارق ، ومتحف هذا الوطن المباين للارض المفـارق ، مأهـل العقيـق (48) وبـارق (49) ، ومحـط طارقهـا ، (102 : أ) بالفتح طارق . ارم البلاد (150) التى لم يخلق مثله فيها ، وذو المناقب التى لا تحصرها الالسنة ولا توفيهـا .

حجزه البحر ، حتى لم يبق الا خصر ، فلا يناله ــ من غير تلك الفرصة ــ ضيق ولا حصر ، وأطل بأعلاه قصر ، وأظله فتح ــ من الله ــ ونصر . ساوق (51) سوره البحر فأعياه ، قد تهلل بالكلس محياه، واستقبل الثغر الغريب فحياه . اطرد صنع الله فيه ، من عدو يكفيه ، ولطف يخفيه ، وداء عضال يشفيـه . فهو خلوة العباد ، ومقام العاكف والباد ، ومسلحة من وراءه من العباد ، وشقة القلوب المسلمة والاكباد . هواؤه صحيح ، وثراه ــ بالخزين ــ شحيح ، وتجر الرباط فيه ربيح ، وحماه ــ للمال

---

46) جبل الفتح : هو جبل طارق « Gibraltar » نسبة الى فاتح اسبانيا (طارق بن زياد) ، وكان يسمى قبل الفتح « Calpe » بمعنى « تجويف » يتبع بريطانيا حاليا ، وتنازعها اسبانيا فى الاحقية ، وهذا خلاف قديم .
راجـع : José Carlos de luna-Historia de Gibra ltar

47) المهارق : جمع مهرق ، وهى الصحيفة .

48) العقيق : العقيق تقوله العرب لكل مسيل ماء شقه السيل فى الارض فانهـــره ووسعه ، وفى بلاد العرب اربعة اعقـة .
راجع : ياقوت الحموى ــ معجم البلدان ــ ج 14 ص 138 ، ص 139 .

49) بارق ، ركن من اركان اليمامة ، وهو جبل ، كما يطلق ايضا على ماء بالعراق ، وهو الفاصل بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة ، وقد عناه المتنبى بقوله:
تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجـر السوابـق
راجع : ياقوت الحموى ــ معجم البلدان ــ ج 2 ص 319 ــ 320 .

50) ارم : الارم ، ما يهتدى به من حجارة تنصب فى المفازة ، وجمعه آرام وارؤم ، والمعنى : علم البلاد .

51) ساوق : فاخـر .

والحريم ــ غير مبيح ، ووصفه الحسن لا يشان بتقبيح. الا انه ــ والله يقيه مما يتقيه ــ بعيد الاقطار، ممار بالقطار (52)، كثير الرياح والامطار. مكتنف بالرمل المخلف ، والجوار المتلف . قليل المرافق ، معدوم المشاكل والمرافق . هزل الكراع **(لعدم الازدراع ، حاسر الذراع ، للقراع)** (54)، مرتزق من ظل الشراع . كورة دبر ، (55) ومعتكف أزل وصبر ، وساكنه حى فى قبر (102 : ب) .

هو الباب ان كان التزاور واللقيا وغوث وغيث للصريخ وللسقيا

فان تطرق الايام فيه بحادث وأعزز به قلنا : السلام على الدنيا

2 ــ « اسطبونة » (56)

قلت : فاسطبونة ؟

قال : ذهب رسمها ، وبقى اسمها ، وكانت مظنة النعم الغزيرة ، قبل حادث الجزيرة (57) .

---

52) القطار : السحاب الغزير القطر .

53) المرافق : اراد بالمرافق الاولى المنافع ، وبالثانية الآبار .

54) لعدم الازدراع : لعدم المرعى ، وما بين القوسين زيادة وجدناها فى نسختى (س ، ر) .

55) كورة دبر : منزل النحل والزنانير ، وقد وردت فى نسختى (ر ، د) « حبر » .

56) اسطبونة : بلدة تقع غرب مالقة ، على شاطىء البحر المتوسط ، وتعرف فى الاسبانية باسم « Estepana »

57) يقصد بحادث الجزيرة موقعه طريف ، وهى بالاسبانية« Batalla del Salado » حدثت بين النصارى من جهة وبين المغاربة والاندلسيين من جهة اخرى، وتمخضت عن هزيمة المسلمين ، وسقوط كل من طريف والجزيرة الخضراء (10/30/ 1340 م = جمادى الاولى 741 هـ) .
راجع : ابن خلدون فى « العبر » ج 7 ص 261 ، 262 ، والمقرى فى « نفح الطيب » ج ص 317 ، 318 ، وابن الخطيب فى اللمحة البدرية ص 92 ، 93 ، والسلاوى فى « الاستقصاء » ج 2 ص 65 ، 66 ، ودكتور لويس سيكودى لوثينا » فى مجلة الاندلس ــ ملحق 1949 م .

مـربـــلة (غرنـاطـــة)

صورة من الجـــو للمدينة الساحلية

3 ـ « مـربلـــة » (58)

قلت : فمربلـــة ؟

قال : بلد التآذين على السردين ، ومحل الدعاء والتأمين ، لمطعـم الحوت السمين ، وحدقاتهـا مغرس العنب العديـم القرين ، الى قبـة أرين (59) . الا أن مرساها غير أمين ، وعقارها غير ثمين ، ومعقلها تركبه الارض عن شمال ويمين (60) .

4 ـ « سـهـيـــل » (61)

قلـت : فسهيـل ؟

قال : حصن حصين ، يضيق عن مثله هند وصين ، ويقضى ـ بفضله ـ كل ذى عقل رصين ، سبب عزه متين ، ومادة قوته شعير وتين . قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم . وأسهلت بين يديه قراه ، وجاد بالسمك واديه وبالحب ثراه ، وعرف شأنه بأرض النوب (62) ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . الا أن سواحله فل (63) الغارة البحرية ، ومهبط

---

58) مربلة : مدينة متوسطة ، تقع غرب مالقة ، على مسافة 60 كم منها ، تعرف فى الاسبانية باسم « Marbella »

59) فى نسخة (ر ، س ، ط) « قلت أن مرساها غير امين » ، وقد اوردها كذلـك المستشرق « سيمونيت » ، ولكن الصواب فى نسختنا .

60) فى نسخة (س ، ر) « عن شمال ويمين » بدل « من شمال ويمين » .

61) سهيل : ميناء على ساحل البحر المتوسط ، يعرف اليوم فى الاسبانيـة باسـم Fuenjerola على مسافة 28 كم شرقى مربلة .

62) ربما يقصد « بلاد النوبة » اقصى الجنوب بجمهوريـــة مصـــر العربية ، وشمال السودان ، والتعبير كناية عن بعد صيت المدينة .

63) فى نسخة (ر ، س) « بل » بدل « فل » .

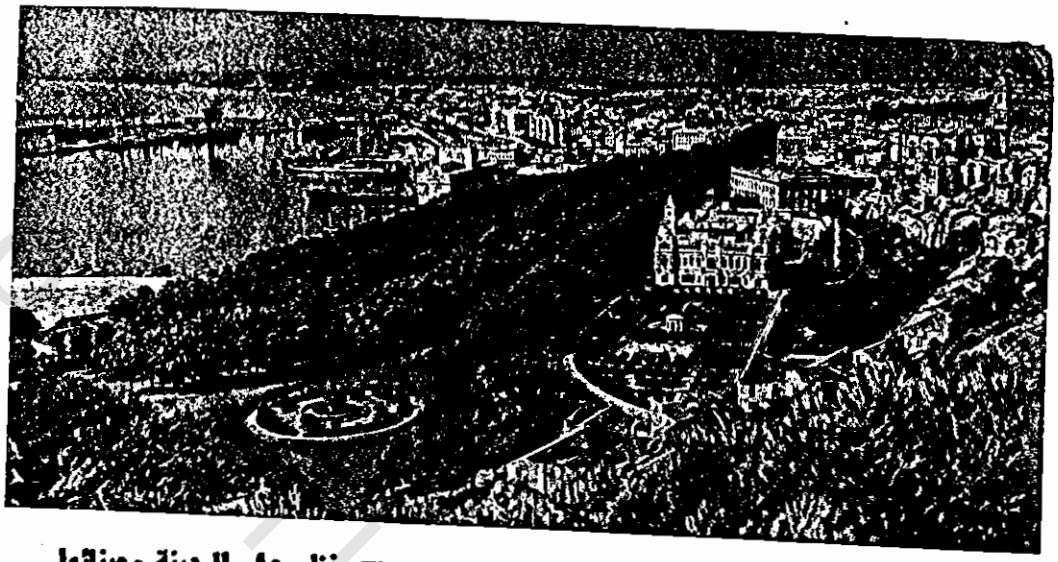

منظر عام للمدينة وميناثها

منظـــر داخلى للقصبـــة

السرية غير السرية ، الخليقة بالحذر الحرية ، مسرح السائمة الاميرية ، وخدامها (103 : أ) ــ كما علمت ــ أولئك هم شر البرية (64) .

5 ــ مالقـــة (65)

قلت : فمدينة مالقـــة ؟

قال : وما القول (66) فى الدرة الوسيطة ، وفردوس هذه البسيطة ؟ أشهد لو كانت سورة لقرنت بها حذقة الاطعام (67) ، أو يوما لكانت عيدا فى العام (68) ، تبعث لهـــا بالسلام مدينـــة السلام (69) ، وتلقى لها يـــد الاستسلام محاسن بلاد الاسلام . أى دار ، وقطب مدار ، وهالة ابدار ، وكنز تحت جدار . قصبتها مضاعفة الاسوار ، مصاحبة للسنين مخالفة للادوار (70) ، قد برزت فى أكمل الاوضاع وأجمل الاطوار . كرسى ملك عتيق ، ومدرج مسك فتيق ، وايوان أكاسرة ، ومرقب عقاب كاسرة ، ومجلى فاتنة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة . فحماها منيـــع حريز ،

---

64) اقتباسا من قوله تعالى : « ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية » سورة البينة ، آية : 6 .

65) مالقة : Malaga مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، جنوب شرق الاندلس ، يرجع تاسيسها الى الفنيقيين عام 1200 ق. م ، حيث كانت تعرف باسم« Malaca »بمعنى : المملح ، نسبة الى الاسماك المملحة التى اشتهرت بها ، وتتوفر المدينة ايضا على اجود انواع الفواكه ، ولها شهرة فى صناعـــة الفخار Ceramica ، كانت عاصمة الحموديين الادارسة ايام ملوك الطوائف ، كما كان بنو الاحمر يعتبرونها العاصمة الثانية بعد غرناطـــــة .
راجع : المقرى فى « نفح الطيب » ج 1 ص 186 ، وياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 17 ص 367 .

66) فى نسخة (ر ، س) « وما اقول » بدل « وما القول » وكلاهما بمعنى .

67) حذقة الطعام : الحفل الخاص بانتهاء الصبى من حفظ القرآن .

68) فى نسخة (ط ، س) « فى الايام » بدل « فى الطعام » فالتعبير فى نسختنا اعم .

69) مدينة السلام : بغداد .

70) فى نسخة (س ، ر) « مصاحبة السنين ، مخالفة الادوار » ، فلعلها فى نسختنا اولـــى .

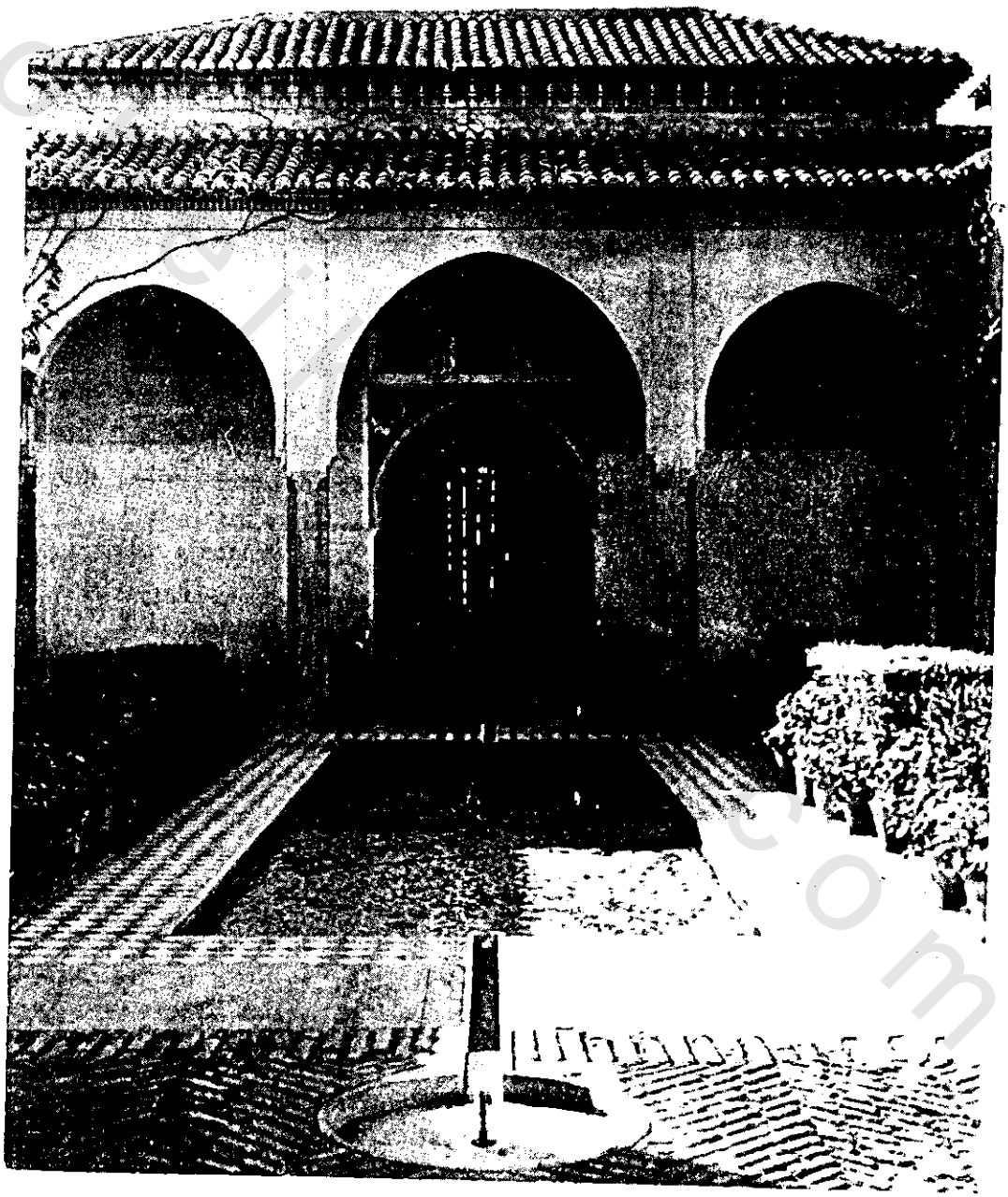

احد الافنية فى القصبة

اضطبنت دار الاسطول ، وساوقت البحر بالطول ، وأسندت الى جبل الرحمة ظهرها ، واستقبلت ملعبها ونهرها ، ونشقت وردها الارج (103 : ب) وزهرها ، وعرفت قدرها ، فأغلت مهرها . وفتحت جفنها على الجفن غير الغضيض (72) ، والعالم الثانى ما بين الاوج الى الحضيض .

دار العجائب المصنوعة ، والفواكه غير المقطوعة ولا الممنوعة ، حيث الاوانى تلقى لها يد الغلب صنائع حلب ، والحلل التى تلح صنعاء فيها بالطلب ، وتدعو الى الجلب ، الى الدست الرهيف ، ذى الورق الهيف . وكفى برمانها حقاق ياقوت ، وأمير قوت ، وزائر غير ممقوت . الى المواساة ، وتعدد الاساة ، واطعام الجائع والمساهمة فى الفجائع ، وأى خلق أسرى من استخلاص الاسرى ، تبرز منهم المخدرة حسرى ، سامحة بسواريها ولو كانا سوارى كسرى . الى المقبرة التى تسرح بها العين ، وتستهان ـ فى ترويض روضاتها ـ العين ، الى غلالها المحكمة البنيان ، الماثلة كنجوم السماء للعيان ، وافتراض سكناها ـ أوان العصير ـ على الاعيان ، ووفور أولى المعارف والاديان .

(104 : أ) وأحسن (73) الشعر فيما أنت قائله
بيت يقال ـ اذا أنشدته ـ صدقا

وعلى ذلك ، فطينها يشقى به قطينها ، وأزبالها تحيى بها سبالها ، وسروبها يستمد (74) منها مشروبها ، فسحنها (75) متغيرة ، وكواكب

---

71) تبريز : مدينة فى ايران ، وهى قاعدة اقليم « اذربيجان الشرقية » ، وتشتهر بصناعة الطنافس والحرير .

72) اضطبنت : وافقت .

73) فى نسختى (س ، ط) « مما » بدل « فيما » .

74) فى نسختى (ط ، د) « يستعمل » بدل « يستمد » .

75) فى نسختى (ر ، س) « فسخهما ، فساحاتها » بدل « فسحنها » فلعلها فى نسختنا أولى .

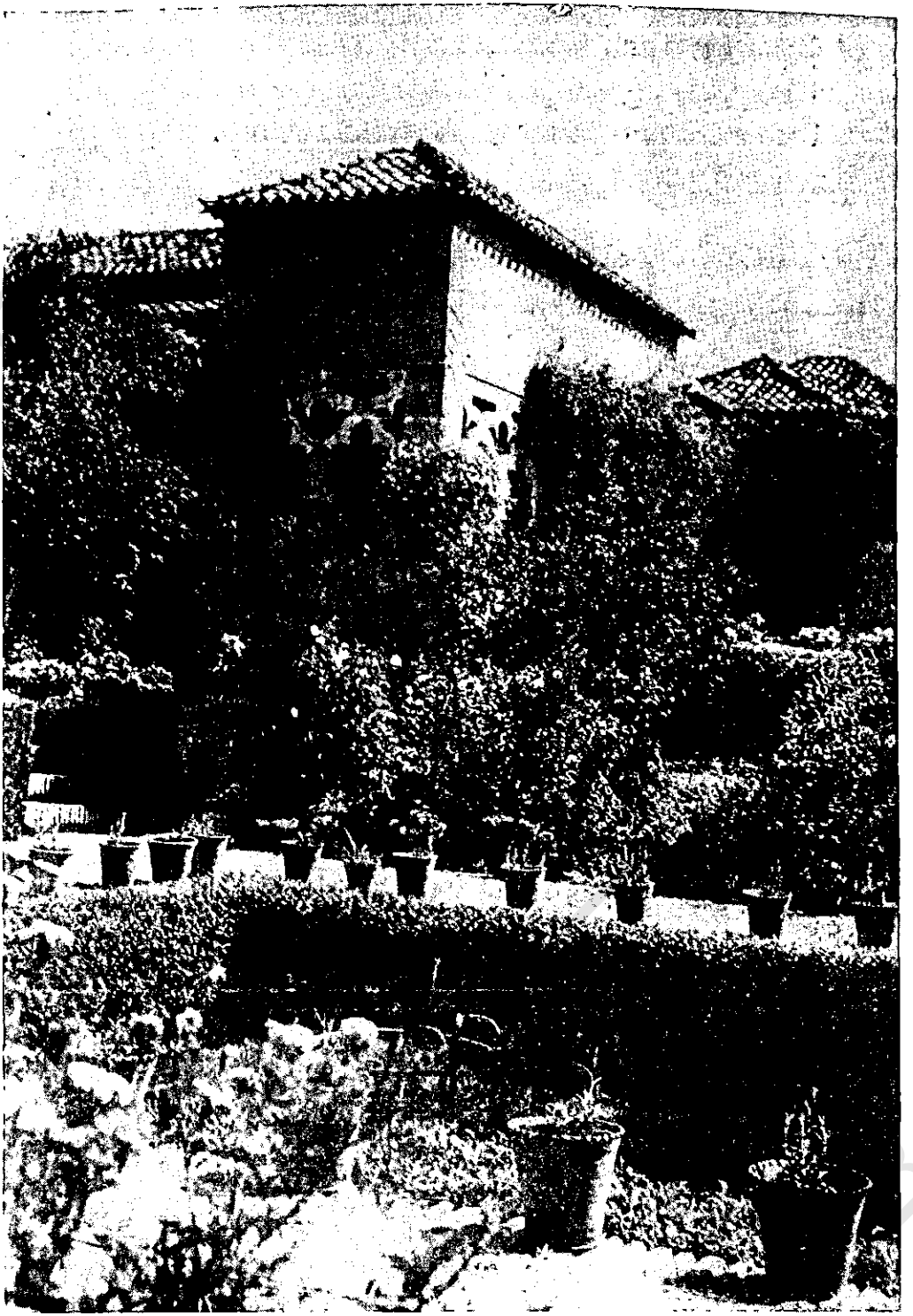

قصبة مالقـــة (منظر جانبي)

أذهانها النيرة متحيرة ، وأقطارها جد شاسعة ، وأزقتها لزجة (76) غير واسعة ، وآبارها تفسدها أزفارها ، وطعامها لا يقبل الاختزان ، ولا يحفظ الوزان ، وفقيرها لا يفارق الاحزان ، وجوعها ينفى به هجوعها ، تحث (77) على الامواج أقواتها ، وتعلو على الموازين غير القسط أصواتها ، وأرحيتها تطرقها النوائب ، وتصيب أهدافها السهام الصوائب ، وتعد بها الجنائب ، وتستخدم فيها الصبا والجنائب . وديارها الآهلة بالسكان قد صم بالنزائل صداها ، وأضحت بلاقع بما كسبت يداها ، وعين أعيانها أثر ، ورسم مجادتها قد دثر ، والدهر لا يقول لها لمن عثر (78) ، ولا ينظم شملا اذا انتثر . وكيف لا يتعلق الذام ، ببلد يكثر به الجذام ! محلة بلواه آهلة ، والنفوس ــ بمعرة عدواه ــ جاهلة .

ثم تبسم عند انشراح صدر ، وتذكر (79) قصة (104 : ب) الزبرقان بن بدر (80) .

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وان ذممت تقل (81) قيء الزنابير

مدح وذم ، وعين الشيء واحدة ... ان البيان يرى الظلماء كالنور (82)

---

76) فى نسخة (س) « حرجة » .

77) فى نسخة (ط) « تحط » بدل « تحث » .

78) مثل يضرب عند العرب ، ومعناه : أن الدهر لا يدعو لك بالانتعاش اذا عثرت .

79) فى نسخة (س) « وذكر » بدل « وتذكر » .

80) تتلخص قصة الزبرقان بن بدر فى : أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عمرو ابن الاهتم عن الزبرقان بن بدر ، فقال : « مانع لحوزته ، مطاع فى أدنيه » فقال الزبرقان : أما أنه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى ، فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال : فوالله ما علمته الا ضيق الصدر ، زمر المروءة ، لئيم الخال، حديث الغنى» ، فلما رأى عمرو أنه قد خالف قوله الاول، ورأى الانكار فى عينى الرسول ، قال : « يا رسول الله ، رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الاولى ، ولقد صدقت فى الاخرى » فقال الرسول عند ذلك : « ان من البيان لسحرا » .
انظر : الجاحظ فى « البيان والتبيين » . ج 1 ص 52 .

81) فى نسخة (ط) « فتل » .

82) فى نسخة (ط ، س) « فى النور » بدل « كالنور » .

6 ــ « بليــش مالقــة » (83)

قلت : فبليـــش ؟

قال : جادها المطر الصيب ، فنعم البلد الطيب ، حلى ونحــر ، (وبــر) ولوز وتين ، وسبب من الامن متين ، وبلد أمين ، وعقار ثمين ، وفواكه عن شمال ويمين ، وفلاحة مدعى انجابها لا يمين . الا أن التشاجر بها أنمى من الشجر ، والقلوب أقسى من الحجر ، ونفوس أهلها بينة الحسد والضجر ، وشأنها غيبة ونميمة ، وخبث (84) مائها ــ على مــا سوغ الله من آلائها ــ تميمة (85) .

7 ــ « قمــارش » (86)

قلت فقمــارش ؟

قال : مودع الوفــر ، ومحــط السفــر ، ومزاحم الفرقــد (87) والغفر (88) ، حيث المــاء المعين ، والقوت المعين . لا يخامر قلــب

---

83) هى بالاسبانية « Velez Malaga » موقعهــا غرب مدينــة مالقــة علــى مسافة 34 كم . وقد تحدث ابن بطوطة عنها فى « الرحلة » بما يؤيد وصف ابن الخطيب هنا (رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 187) .

84) فى نسخة (ر ، س) « وخبيث » .

85) التميمة : تجمع على تمائم ، وهى للاطفال مثلا ما يوضع على صدورهــم أو جباههم من تعاويذ ، يعتقد أهلوهم أنها تقيهم شر الجوائح وعين الحسود ، قال الشاعــر :

واذا المنية أنشبت أظفارهــا ألفيت كل تميمة لا تنفــع

والقصد فى موضوعنا : أن المؤلف يعلل لخبث ماء بليش ، بأنه تعويذة من حسد الحساد ، لما أنعم الله به عليها من النعم التى عددها .

86) تمارش : هى« Comares احدى الحصون الهامة أيام مملكة غرناطة ، وتقــع قربهــا .

87) الفرقد : البقر الوحشى .

88) الغفر : ولد الوعل .

المنكب

مرفا نزول عبد الرحمن الداخل

مؤسس دولة بني امية بالاندلس

صورة من البحر

الثائر به خطرة وجله ، الا من أجله . طالما فزعت اليه نفوس الملـوك الاخائر بالذخائر ، وشقت عليه أكياس المرائر فى الضرائر . وبه الاعناب التى راق بها الجناب ، والزياتين ،واللوز والتين ، والحرث الذى له التمكين، والمكان المكين . الا أنه عدم سهله (89) ، وعظم جهله ، فلا يصلح فيه الا أهلـــه .

8 ــ « المنكـــــب » (90)

قلت : (105 : أ) فالمنكـب ؟

قال : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومختطها . بلدة معقلها منيع ، وبردها صنيع ، ومحاسنها غير ذات تقنيع . والقصـر المفتح الطيقان ، المحكم الاتقان ، والمسجد المشرف المكان ، والاثر المنبىء عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود فى يـد مثاقف . قد أخذ من الدهر الامان ، وتشبه بصرح هامان (91) ، وأرهفت جوانبه بالصخر المنحوت ، وكاد أن يصل(هـا) بين الحوت والحوت (92) . غصـت

---

89) يرمى بهذه الكناية الى سوء خلق اهل البلد .

90) المنكب : مرفأ ساحلى مرتفع ، يقع جنوب شرق الاندلس بمقاطعة غرناطة ، يدعى الآن « Almunecar » وقد نزل الامير الاموى عبد الرحمن بن معاوية بهـذا الميناء عند دخوله الاندلس فى ربيع الاول 138 هـ = سبتمبر 755 م ، وهـذا الامير هو الذى عرف بعدئذ بلقب « الداخل » .
راجع : الادريسى فى « نزهة المشتاق » ــ ص 199 ــ نشر دوزى 1866 م ، وكذا « الروض المعطار للحميرى ص 186 .

91) يرمى الى الصرح الذى أمر فرعون وزيره هامان بتشييده له ، فى قوله تعالى : « وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على الطين ، فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه من الكاذبين » القصص : 38 .

92) يعنى بالحوت الاول : السمك ، وبالآخر : نجم ، كناية عن عظم ارتفاع القصر .

حصن المنكب (أول محط لعبد الرحمن الداخل)

ـ بقصب السكر ـ أرضها ، واستوعب بها (93) طولها وعرضها ، زبيبها فائق ، وجنابها رائق .

وقد مت ـ اليها ـ جبل الشوار (94) بنسب الجوار . منشأ الاسطول ، بعدته (95) غير ممطول ، وأمده لا يحتاج الى الطول . الا أن اسمها مظنة طيرة تشتنف (96) ، فالتنكيب ـ عنها ـ يؤتنف (97) . وطرقها (98) يمنع شر سلوكها من تردد ملوكها ، وهواؤها فاسد ، ووباؤها مستأسد ، وجارها حاسد . فاذا التهبت السماء ، وتغيرت بالسمائم (99) المسميات والاسماء ، فأهلها ـ من أجداث بيوتهم ـ يخرجون (100) ، والى جبالها يعرجون . والودك اليها مجلوب ، والقمح بين أهلها مقلوب ، (105 : ب) والصبر ـ ان لم يبعثه البحر ـ مطلوب (101) ، والحرباء ـ بعرائها ـ مصلوب (102) ، والحر ـ بدم الغريب ـ مطلوب (103) .

---

93) في نسخة (ر) « فيها » بدل « بها » .

94) يقصد به جبل « Sierra del Cazulas »
راجع في هذا كلا من الحميري في « الروض المعطار » ص 112 ، وكذا : « سيمونيت » في تحقيقه ص 47 .

95) في نسخة (ط) « موعدها » .

96) في نسخة (س) « تستنف » .

97) يؤتنف : يبتدىء .

98) في نسختي (س ، ط) « وطريقها » .

99) السمائم : الريح الحارة .

100) اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يخرجون من الاجداث سراعا ، كأنهم الى نصب يوفضون » سورة المعارج ، آية : 43 .

101) لعله يقصد أن القمح هو الآخر يجلب من الخارج ، ثم يصرف بين اهل المدينة، فان لم تأت به السفن فالصبر نافذ .

102) لعل السبب لهذا شدة الحرارة ، كما أسلف ، ويبقى الاعتراض على تذكير « مصلوب » والحرباء مؤنثة ، وعلى هذا المرجع أنه يقصد بالحرباء قاطع الطريق العاتي ، بدليل ما بعده ، ويميل « سيمونيت » الى ذلك .
راجع : سيمونيت في تحقيقه ص : 47 .

103) ربما يرمي بذلك الى أن أهلها شرار يعترضون طريق الغريب ، بغية السلب، ولو أدى بهم ذلك الى قتل الغريب ، ومن ثم يكون القصاص منهم .

9 ـ « شلـوبانيـة » (104)

قلت : فشلوبانيـة ؟

قال : أختها الصغرى ، ولدتها التى يشغل بها المسافر ويغرى ، حصانة معقل ، ومرقب متوقل ، وغاية طائر ، وممتنع ثائر ، ومتنزه زائر ، تركب ـ بدنها ـ الجداول المرفوعة ، وتخترق ـ جهاتها ـ المذانـب المفردة والمشفوعة ، ففى المصيف تلعب بالعقل الحصيف ، وفى الخريف تسفر عن الخصب والريف . وحوت هذه السواحل أغزر من رملـه ، تغرى (105) القوافل الى البلاد بحمله (106) ، الى الخضر الباكرة ، والنعم الحامدة للرب الشاكرة . وكفى بمترايل (107) من بسيطها محلة مشهورة ، وعقيلة ممهورة ، ووداعة فى السهل غير مبهورة (108) . جامعها حافل ، وفى حلة الحسن رافل . الا أن أرضها مستخلص السلطان بين الاوطان ، ورعيتها عديمة الاعيان ، مروعة على الاحيان . وتختص

---

104) شلوبانية : بلدة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، تبعد بمسافة 16 كلـم شرق المنكب ، وتعرف فى الاسبانية باسم « Salobrena » تحيط بها الجبال من الشمال والغرب ، وبها حصن اندلسى من اهم الآثار الاندلسية ، وهـو يشرف على المدينة من ناحية الشرق من ارتفاع شاهق ، وقد سقطـت شلوبانية فى يد الاسبان فى نفس العام الذى سقطت فيه المنكب ، اى عـام 1489 م ، والى شلوبانية ينتسب امام النحو الاندلسى « ابو على الشلوبين» المتوفى باشبيلية عام 645 هـ (1247 م) .

105) فى نسخة (س) « تغدو » .

106) فى نسخة (س) « تحمله » .

107) مدينة تسمى الآن « Motril » ، يبلغ تعداد سكانها حاليا 50.000 نسمـة تقريبا ، تبعد عن مالقة بنحو 107 كم ، كما تبعد عن مدينة غرناطة شرقـا بنحو 74 كم تجاه ساحل البحر الابيض المتوسط ، تشتهر بزراعـة قصـب السكر ، ولها اهمية اقتصادية بين مدن غرناطة ، حيث انها مركز هـام للمواصـلات .

108) غير مبهورة : غير مفضولة .

شلوبانية بمزية البنيان ، ولكنها غاب الحميات ، غير أمينة على الاقتيات ، ولا وسيمة الفتيان ولا الفتيـات (109) .

10 ـ « بـــرجـــة » (110)

قلت : فبرجـــة ؟

قال : تصحيف وتحريف ، وتغيير فى تعريف (111) . ما هى الا بهجة ناظر ، وشرك خاطر ، ونسيجة (106 : أ) عارض ماطر ، ودارين (112) نفس عاطر . عقارها ثمين ، وحرمها أمين ، وحسنها باد وكمين ، عقود أعنابها قد قرطت آذان الميس (113) والحـور (114) ، وعقائل أدواحها مبتسمة عن ثغور النور . وسيطها متواضع عن النجد ، مرتفع عن الغور ، وعينها سلسالة ، وسبائك (115) المذانب منها مسالة ، تحمل الى كل جهة رسالة ، ودورها فى العراء مبثوثة **(وركائب النواسم بينها محثوثة)** ، لا تشكو بضيق الجوار ، واستكشاف العوار ، وتزاحم الزوار .

مياه وظلال ، وسحر حلال ، وخلق دمث كثراها ، ومحاسن متعددة كقراها ، ولطافة كنواسمها عند مسراها ، وأعيان ووجوه ، نجل العيون ،

---

109) فى نسختى (ط ، س) « والفتيات » بدون « لا » .

110) برجه : هى « Berja » تقع شرق الاندلس ، وتتبع اقليم المرية .

111) يصح أن يكون اسم المدينة مصحف عن « بهجة » ومحرف عن « برج » ، وتقرأ معرفة « البرج » ، وهذا مقصد ابن الخطيب من تعبيره عنها .

112) دارين : مكان بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند ، وينسب اليها . وقد ورد هذا المكان كثيرا فى الاشعار العربية ، قال بعضهم :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ويرجعون من دارين بجر الحقائب

113) الميس : نوع من الشجر . يوصف بضخامة الادواح والغصون .

114) الحور : نوع من الكروم ينهض على ساق .

115) فى نسخة (ط) « وسنابك » .

بيض الوجوه ، غلتهم الحرير ، ومجادتهم غنية عن التقرير . الا أن متبوأها بسيط مطروق ، وقاعدتها فروق (116) ، ووتدها مفروق (117) ، ومعقلها خرب ، كأنه أحدب جرب ، ان لم ينقل اليه الماء ، برح به الظماء ، ولله در صاحبنا اذ يقول :

يـا بسيطـا بمعانـى بـرجـه أصبـح الحسن بـه مشتهـرا
لا تحـرك بفخـار مقـولا فلقـد ألقمـت منهـا حجـرا

والبر بها نزر الوجود ، واللحم تلوه وهما طيبتا الوجود . والحرف (106 : ب) بها ذاوية العود ، والمسلك اليها بعيد الصعود .

11 ـ « دلايـــة » (118)

قلت : فدلايـــة ؟

قال خير رعاية وولاية ، حرير ترفع عن الثمن ، وملح يستفد على الزمن ، ومسرح معروف ، وأرض ينبت بها جبن وخروف . الا أنها لسرايا العدو البحرى مجر العوالى ، ومحل الفتكات على التوالى ، فطريقها صوى (119) ومشاهد ، والعارف ـ فى مثلها ـ زاهد .

---

116) قاعدتها فروق : اى ان ارضها عرضة للغارات ، التى تجعلها جزعة يتملكها الخوف .

117) وتدها مفروق : كناية عن أن مبانيها يفرقها نهر أو واد مثلا ، والتعبير اصطلاح عروضى ، والتورية واضحة .

118) دلاية : هى « Dalias » احدى القرى التابعة لولاية المرية ، تبعد بنحو 9 كم جنوب شرق برجة .

119) صوى : ما يوضع فى الطرق من احجار كعلامات ، وفى نسخ رس ، ط ، ر « هوى » . وقد أوردها « سيمونيت » هكذا ، ولعل الصواب فى نسختنا .

12 ـ « المـريـــة » (120)

قلت : فمدينة المريـــة ؟

قال : المرية هنية مرية ، بحرية برية ، أصيلة سرية ، معقل الشموخ والاباية ، ومعدن المال وعنصر الجباية ، وحبوة الاسطول (121) ، غير المعلل بالنصر ولا الممطول ، ومحط التجار ، وكرم النجار ، ورعى الجار . ما شئت من أخلاق معسولة ، وسيوف من الجفون السود مسلولة ، وتكك محلولة ، وحضارة تعبق طيبا ، ووجوه لا تعرف تقطيبا ، ولم تزل ـ مع الظرف ـ دار نساك ، وخلوة اعتكاف وامساك .

---

120) المرية « Almaria » مدينة كبيرة جنوب شرق الاندلس ، ومن اجمل الثغور والمدن الاندلسية ، وهى عاصمة الولاية المسماة ، بهذا الاسم ، يبلـــغ سكانها اليوم 85.000 نسمة تقريبا ، واهم صادراتها الحديد والرصـــاص والفاكهة ، وكانت فى العهد الاسلامى من أهم ثغور الاندلس الجنوبية ، بناها الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر عام 344 هـ = 955 م ، وسقطت فى يد الاسبان فى فبراير 1490 م (895) .

راجع : الروض المعطار للحميرى ص 183 ، 184 ، وكذلك ما ذكـــره المستشرق « زيبولد » بدائرة المعارف الاسلامية ، عن وضعية هذه المدينة فى العهد الاسلامى ص 319 (Zeybold, Enc. ISI, I, P. 319)

121) يقصد القاعدة التى هى مرسى الاسطول .

122) فى نسختى (س ، ر) « وانف » وهكذا ورد عند « سيمونيت » ، فلعل الصواب فى نسختنا ، اذ يرمى المؤلف بتعبيره هذا الى أن معظم اسم المدينة يعنـــى « المرارة » التى ذاقها العدو فانقلب عنها .

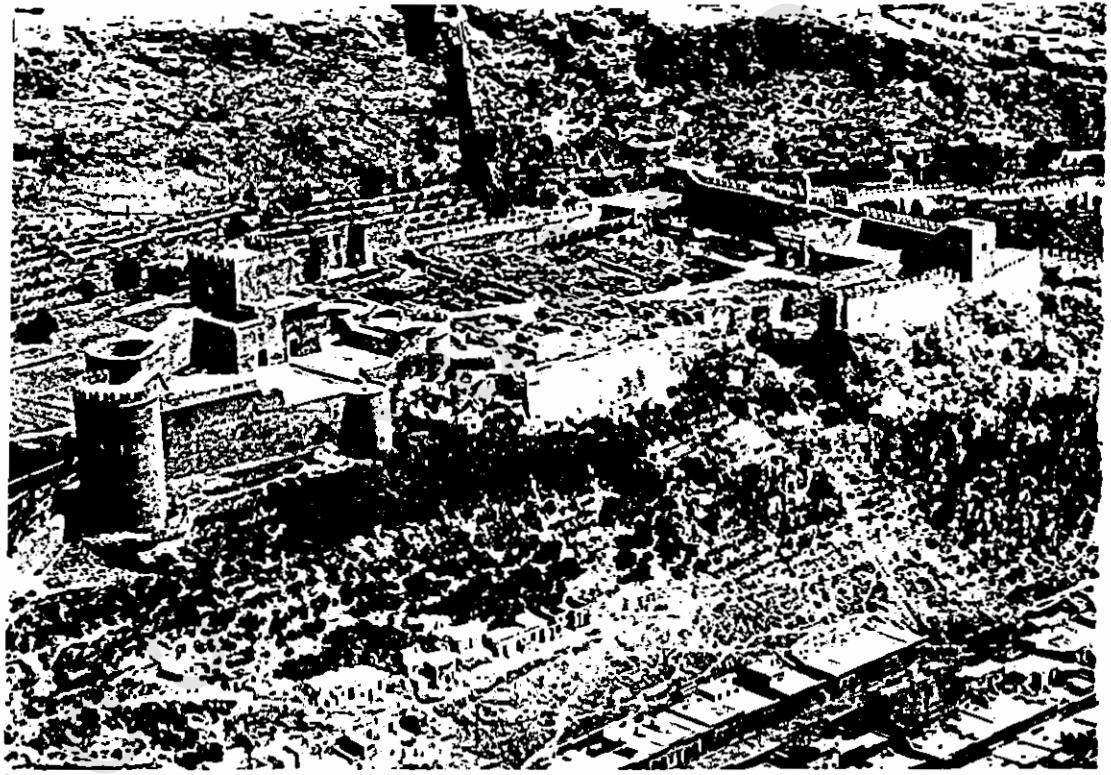

صورة للقصبـــة العربيـــة من الجـــو

أرغم أهلها أنف الصليب ، لما عجم منها بالعود الصليب ، وألف (122) لامها وألفها حكم التغليب ، فانقلب منها آيسا (123) عند التغليب :

يسـأل عـن أهـل المريـة سائـل
وكيـف ثبات القوم والروع باسـر

(107 : أ) قطا دارج فى الرمل فى يوم لذة
ولهو ، ويوم الروع فتخ كواسـر (114)

بحرها مرفأ السفن الكبار ، وكرسيها هو العزيز عند الاعتبـار ، وقصبتها سلوة الحزين ، ومودع الخزين ، وفلك المنتزين . وهى محـل الغلل (125) المجدية ، والاندية (126) المشفوعة الاردية ، ولواديهـا المزية على الاودية . حجة الناظر المغتون ، المكسو الغصون (127) والمتون ، بالاعنـاب والزيتـون .

---

123) ينبغى ان نشير هنا الى هذه المؤامرة السرية الخطيرة التى تمت بين قشتالة واراجون على غزو مملكة غرناطة فى آن واحد عام 1309م (709هـ) . وتتلخص هذه المؤامرة فى ان تهاجم الجيوش القشتالية مدينة الجزيرة الخضـراء Algociras بالجنوب ، بينما تهاجم الاساطيل الارجونية ثغور المرية من الشرق ، ويتابع الطرفان هجومهما حتى يتقابلا فى غرناطة نفسها ، وقـد تعرضت مدن اندلسية كثيرة لشر هذا الاتفاق ، وكانت المرية اكثـر المدن ابتلاء بهذا الهجوم ، وقد فشل المشروع الهجومى بصمود هذه المدن .
انظر : ابن القاضى فى « درة الحجال فى غرة اسماء الرجال » ج 1 ص : 71 وما بعدها ، نشر علوش . الرباط 1934 م ، وقد ترجم النص الى عدة لغات، منها ترجمة اسبانية لسانشث البرانث فى :
Sachez, Alborernez, La España Musulmana, P. 386-392.

124) فتخ : الاسد ذوات الكف العريض .
125) فى نسختى (س ، ط) « والحال » .
126) فى نسخة (ط) « والاردية » .
127) فى نسخة (ط) « الخصور » .

بلد الخام (128) ، والرخام ، والذمم الضخام ، وحمتها (129) بديعة الوصف ، محكمة الوصف ، مقصودة للعلاج والقصف . حرها شديد، ودكرها طويل مديد ، وأثرها على البلى (130) جديد . الا أن مغارمها ثقيلة ، وصفحة جوها ــ فى المحول ــ صقيلة ، وسماؤها بخيلة ، وبروقها لا تصدق منها مخيلة ، وبلالة النطية منزورة العطية ، وسعرها من الاسعار غير الوطية . ومعشوق البر بها قليل الوصال ، وحمل البحر صعب الفصال (131) ، وهى متوقعة الا أن يقى الله طلوع النضال ، وعادة المصـــال (132) .

13 ــ « طبـرنـــش » (133)

قلت : فطبرنش ، من شرقيهـا ؟

قال : حاضرة البلاد الشرقية (134) ، وثنية البارقة الافقية . مـا شئت من تنجيد بيت ، وعصير زيت (135) ، (107 : ب) واحياء أنس

---

128) فى نسختى (ط ، ر) « الكنان » ففى نسختنا اعم .

129) حمتها : لا يقصد بلدة الحامة : Alhama »التى سيفرد ابن الخطيب لها وصفا خاصا بها بعد قليل . وانما يقصد العين الحارة الخاصة بالمرية ، وذلك خلافا لما ذكر د. العبادى فى « المشاهدات » .

130) فى نسخة (ر ، س) « البلاد » ، وقد أوردها « سيمونيت » كذلك ، ولعلها فى نسختنا اصوب .

131) فى نسختى (ر ، ط) « العضال » وقد أوردها « سيمونيت » كذلك ، ولعل الصواب فى نسختنا ، فهو يعنى أن حمل السفن من قمح وخلافه صعب الفصال ، وهو كناية عن قلة البر وغلاؤه .

132) المصال : الكناح .

133) طبرنش : هى « Tabernas » وتعنى باللاتينية : حوانيت واكواخ . انظر : سيمونيت فى تحقيقه . Simonet. O.P. Cit. P. 103

134) فى نسخة اخرى « البلاد المشرقية » .

135) فى نسخة (س) « وعصر الزيت » .

ميت ، وحمام طيب ، وشعب تنثر فيه دنانير أبى الطيب (136) . الا أنها محيلة الغيوث ، عادية الليوث ، متحزبة الاحزاب (137) شرهة الاعزاب . ولو شكر ــ الغيث ــ شعيرها ، أخصبت ــ البلاد ــ عيرها .

14 ــ « بيـــــرة » (138)

قلت : فبيـــرة ؟

قال : بلدة صافية الجو ، رحيبة الدو (139) ، يسرح بها البعير ، ويجم بها الشعير ، ويقصدها ــ من مرسية وأحوازها ــ العير ، فساكنها بين تجر وابتغاء أجر ، ووادیها نیلی الفیوض والمدود ، مصری التخـوم والحدود ، ان بلغ الى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود . الا أنها قليلة المطر ، مقيمة على الخطر ، مثلومة الاعراض والاسوار ، مهطعة لداعی البوار ، حليفة حسن مغلوب ، معللة بالماء المجلوب ، آخـذة بأكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشرور ، برها أنذر من برها فی المعتمر والبور ، وزهد أهلها فی الصلاة

---

136) يرمى بذلك الى وصف المتنبى (303 ــ 354 هـ/915 ــ 965 م)لشعب بوان، فی تساقط أشعة الشمس من خلال الاوراق على الارض ، وكأنها الدنانير ، وشعب بوان هو مكان بفارس قرب شيراز ، يوصف بكثرة المياه والاشجار . قال المتنبى فی وصفه :

فدونا تنفض الاغصـان فيـــه ... على أعرافها مثل الجمـــان
نسرت وقد حجبن الشمس عنى ... وجئن من الضياء بما كفانـــى
والقى الشرق منهـا فی ثيابـى ... دنانيـــر تفـر من البنـــان

راجع : العرف الطيب ــ لليازجى ج 7 ص 603 ــ 612 .

137) فی نسختی (ر ، س) « شريفة » فلعل الصواب فی نسختنا .

138) بيرة : هی بالاسبانية « Vera » تقع شمال شرق مملكة غرناطة ، وهی بلدة مرتفعة ، على ساحل البحر الابيض المتوسط ، مما اكسبها اهميتها الحربية .

139) الدو : الفضاء خارج المدينة .

شائـــع فى الـ مهور ، وسوء ملكـــة الاسرى من الذائع (**بهـــا**) (140) والمشهـــــور .

(مـــا قام خيرك يا زمان بشـــره اولىلنا ما قل منكوما كفى) (141)

15 ــ « مجـــاقـــــر » (142)

قلت : فمجـــــاقـــر ؟

قال : حصن جديـــد ، وخير مديد ، وبحر ما على افادته مزيـــد ، **(وخصب ثابت ويزيـــد)** (143) . ساكنه قد قضى ــ الحج ــ أكثره ، وظهر (108 : أ) عين الخير فيه وأثره ، الا أنه لا تلفى ــ بـــه للماء ــ بلالة ، ولا تستشف للجود علالة .

16 ــ « قنتـــوريـــة » (144)

قلت : فقنتوريـــــــة ؟

قال يسار يمينها ، وغبار كمينها ، ومعمول يمينها ، يجود بها الجبن والعسل ، ومن دونها الاسل (145) ، وأما عن الخبز فلا تسل . وان كانت أحسن شكلا ، فاقل شربا وأكلا ، وأجفا أهلا ، وأشد جهلا ، وأعدم علا

---

140) زيادة فى « س » .

141) هذا البيت ورد فى النسخ الاخرى ، وأثبته « سيمونيت » Simonet OP. Cit. P. 112

142) مجاقر : هى بالاسبانية « Mojacar » احدى قرى الاندلس الصغيرة ، مـــا زالت حتى اليوم ، وما زال نساؤها حتى الآن يرتدين الحجاب .

143) زيادة فى « س ، ط » .

144) قنتورية : هى « Cantoria » تقع جنوب « برشانة » على نهر المنصورة .

145) كناية عن بخل اهلها ، بدليل ما ذكره بعدئذ .

ونهلا ، وأهلها شرار ، أضلعهم بالظماء (146) حرار . لا تلفى بهـا نغبة (147) ماء ، ولا تعدم (148) مشقة ظماء ، ولا تتوج أفقها الا فى الندرة قزعة سمـاء .

17 ـ « بـرشانـة » (149)

قلت : فبرشانـة ؟

قال : حصن مانع ، وجناب يانع ، أهلها أولو عداوة لاخلاق البداوة ، وعلى وجوههم نضرة وفى أيديهم نداوة ، يداوون بالسلافة (150) علل الجلافـة ، (**ويؤثرون علل التخلف على لذة الخلافة**) (151) ، فأصبح ربعهم ظرفا ، قد ملىء ظرفا ، فللمجون به بسوق ، وللفسوق ألف سوق ، تشمر به الاذيال عن سوق . وهى تبين بعض بيان عن أعيان ، وعلى وجوه نسوانها طلاقة ، وفى ألسنتهم ذلاقة ، ولهن بالسفارة (152) فى الفقـراء علاقة . (153) الا أن جفنها ليس بذى سور يقيه مما يتقيه ، ووغدها يتكلم بملىء فيه ، وحليمها يشقى بالسفيه ، ومحياها تكمن حية الجور فيه .

---

146) فى نسختى (س ، ر) « بالظما » وهكذا اوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب فى نسختنا .

147) النغبة : بالتشديد مع الفتح او الضم ، بمعنى الجرعة من الماء .

148) فى نسخة (س) « ولا يعدم » .

149) هى « Purchena وتقع على نهر المنصورة ، تتبع ولاية « المرية » ، ويوجـد مكان آخر بهذا الاسم بولاية « جيان » .
انظر « الروض المعطار » للحميرى ص 52 حاشية 1 .

150) السلافة : أفضل انواع الخمر ، اذ هى السائل قبل العصير

151) هذه العبارة زائدة فى النسخ الاخرى ، والعلل هو الشرب للخمر المرة تلـو المرة ، فاهل المدينة يؤثرون ذلك على لذة الملك .

152) فى نسختى (س ، ر) « عن » ، وهو أصوب وانسب .

153) كناية عن اشتغال بعض نسائها بالقوادة .

18 ــ « أوريـــة » (153)

قلت : فأوريـــة ؟ (108 : ب) .

قال : بلد الجبن والعسل (154) ، والهواء الذى يذهب بالكسل ، وأما عن الماء البرود فلا تسل . ادامه الصيد الذى لا يتعذر ، وقونه الشعيـر الذى يبـذر . الا أنه بادى الوحشـة والانقطـاع ، والاجابـة لداعـى المخالفة (155) والاهطاع (156) . وحش الجناب (157) ، عرى من ثمرات النخيل والاعناب ، حقيق لمعرة العدو والاجتناب .

19 ــ « بليـش الشقـراء » (158)

قلت :فبليـــش ؟

قال : ثغر قصى ، وقياد (159) ــ على الامن ــ عصى ، ويتيم ليس عليه ــ غير العدو ــ وصى . ماؤه معين ، وحوره عين ، وخلوته ــ علـى النسك وسواه ــ تعين . وبه الحمام ، والنطف الجمام (160) ، ولاهله بالصيادة اهتمام ، وعسله ــ اذا اصطفت العسول ــ امـــام . الا أنها

---

153) هى المعروفة اليوم باسم « Oria » بولاية المرية .
154) فى النسخ الاخرى « بلدة » .
155) فى نسخة اخرى « المخالفة » .
156) الاهطاع : الاسراع فى خوف .
157) فى نسختى (س ، ر) « وحسن » هكذا أوردها « سيمونيت » ، وهو مـــا يتناسب مع السياق العام للوصف .
158) هى « Velez Rubio » تقـع قـرب مدينة « لورقـة » ، علاوة علـى « بليش البيضاء » y en sun proximidales Velez Blancc
كما توجد بليش اخرى تدعى « Velez Malaga » وهى قرب « مالقـة » .
159) فى النسخ الاخرى بحذف « وقياد » .
160) النطف الجمام : الماء الكثير .

بسـطـة غـرنـاطة

منظـر عـام للمـديـنـة

بلدة منقطعة بائنة ، وبأحواز العدو كائنة ، ولحدود لورقة (161) ــ فتحها الله ــ مشاهدة معاينة . وبرها الزهيد القليل يتحف به العليل ، وسبيل الامن اليها غير سبيل ، ومرعاها ــ لسوء الجوار ــ وبيل .

20 ــ « بسطـــــة » (162)

قلت : فمدينـــة بسطـــة ؟

قال : وما بسطة ! بلد خصيب ، ومدينة لها من اسمهـــا نصيب ، دوحها متهدل ، (163) وطيب هوائها غير متبدل ، وناهيك من بلد اختص أهله فى معالجة الزعفران ، وامتازوا به عن غيرهم من الجيران . عمت ــ أرضها ــ السقيا فلا تخلف ، وشملتها البركة يختص الله (164) 109 : أ) من يشاء ويزلف ، يتخلل ــ مدينتها ــ الجدول المتدافع ، والناقـــع للغلل (165) النافع . ثياب أهلها بالعبير تتأرج ، وحورها تتجلى وتتبرج وولدانها ــ فى شط انهارها المتعددة ــ تتفرج . ولها الفحص الذى يسافر فيه الطرف سعيا ، ولا تعدم السائمة به ريا ولا رعيا ، ولله در القائل :

ألجائـــى الدهـــر الـــى عالـــم يؤخذ منـــه العلم والدين (166)
فى بلـــدة عـــوذت نفســـى بهـــا اذ فى اسمهـــا طـــه وياســـين

---

161) لورقة : مدينة تبعد عن مرسية بنحو60كم على مرتفع جبلى، فهى قلعة مرسية فى الحروب الاسلامية النصرانية ، وقد سقطت لورقة هذه فى يد الاسبان عام 1248 م (645 هـ) .
راجع : الروض المعطار ص 171 .

162) بسطة : تعرف الآن فى الاسبانية باسم « Baza » تقع شمال شرق غرناطـــة بنحو 25 كم .

163) فى نسختى (س ، ر) « متدل » .

164) فى نسختى (ط ، ر) « تختص » .

165) فى نسخة (ط) « للعلل » .

166) فى نسخة (ط) يتاخر البيت الاول عن الثانى ، وهو ما لا يتناسب والسيـــاق العام ، وهكذا أوردها سيمونيت دون اشارة الى نسختنا .

الا أن ترتبها تفضح البناء ، وان صحبة الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الاقامة ، وخندقها ــ لاكسارها ــ تلقامة ، فهى ــ لذلك ــ غيــر دار (167) مقامة ، ورياحها عاصفة ، ورعودها قاصفة ، وحاميتها تنظر الى الهياج ، من خلف سياج ، فالعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكات ، وحدها فليل ، وأعيانها قليل (168) ، وعزيزها ــ لتوقع المكروه ــ ذليــل .

21 ــ « آشكـــــر » (169)

قلت : فاشكـــــــر ؟

قال : نعم البسيط المديد ، والرزق الجديد ، والتقى (170) العديد ، والصيد والقديد (171) ، تركب الجداول فحصها ، ويأبى الكمال نقصها ، ويلازم ظل الخصب شخصها . مسرح البهائم ، ومعدن الرعى الدائم . الا أن معقلها لا يمنع ، ومكانها يحوم عليه (109 : ب) الحادث الاشنع ونفوس أهلها مستسلمة لما الله يصنع .

---

167) فى نسخة (ط) « خير » ، وهو ما لا يتناسب والسياق العام لوصف طبيعــة البلد ، وقد أوردها سيمونيت كذلك مخالفة لنسختنا .

168) هذه الجملة زائدة فى نسختنا ، دون النسخ الاخرى .

169) اشكر : هى « Huescat تتبع ولاية غرناطة ، موقعها شمال بسطة ، ويشيــر « سيمونيت » عند ذكر هذه المدينة الى المنازعات التى كانت بين المسلمــين والنصارى أيام ابن الخطيب .
راجع : Simonet. OP. Cit. p. 63

170) فى نسخة (ط) « والسعى » .

171) فى نسختى (ر، س) « القديد » بدون الواو .

22 ـ « انـــــدرش » (172)

قلـت : فـأنـــــدرش ؟

قال : عنصر جباية ، ووطن بهم (173) أولو اباية ، حريرها ذهب ، وتربها تبر منتهب (174) ، وماؤها سلسل ، وهواؤها لا يلفى معه كسل . الا أنها ضيقة الاحواز والجهات ، كثيرة المعابر والفوهات . أعرابها أولـــو استطالة ، وابناء مترفيها كثيرو البطالة ، فلا يعدم ذو الزرع عدوانا ، ولا يفقد عير الشر نزوانا ، وطريقها غير سوى ، وساكنها ضعيف يشكو من قـــــــوى .

23 ـ « شبـالـــش » (175)

قلت : فشبالـــــش ؟

قال : معدن حرير خلصت سبائكه ، وأثرى بزازه وحائكه ، وتهدلت حجاله وتمهدت آرائكه ، وجباية سهل اقتضاؤها ، وجمت بيضاؤها . الا

---

172) اندرش : هى « Andorax » تتبع المرية ، مدينة صغيرة ، توجد الآن قـــرب ولايتها ، واسمها يطلق على نهر هناك ينبع من جبل الثلج Sierra Nevada ويصب فى البحر الابيض المتوسط .

173) فى نسخة (ر) « به » بدل « بهم » ، والبهم بضم ففتح ج بهمة ، وهو الشجاع، يقول البوصيرى :

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم والبهـــم

174) فى نسختى (س ، ر) « ملتهب » هكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب فى نسختنا .

175) فى نسخة (ط ، ر) « الفرج » ، هكذا أوردها سيمونيت ، وهو ما لايتناسب والسياق ، فلعل الصواب فى نسختنا .

175) تسمى بالاسبانية« Jubles » موقعها باطراف جبل الثلج« Sierra Nevada » وكانت عبارة عن حصن فى العصور الاسلامية ، وقد تحدث « سيمونيت » عن هذا الحصن واهميته فى الحروب الاهلية ، التى كانت تنشب فى غرناطة على مر عصورها الاسلامية المختلفة .

راجع فى هذا : « سيمونيت » ص 102 .

أنه وطن عدم ادامه ، وبيت ظهر اهتدامه ، وفقدت به حيل التعيـــش وأسبابه ، ومحل لا يقيم به الا أربابه .

24 ــ « وادى آش » (176)

قلت : فمدينـــة وادى آش ؟

قال : مدينة الوطن ، ومناخ من عبر أو قطن ، للناس ما بدا (177) ولله ما بطن . وضع سديد ، وبأس شديد ، ومعدن حديد ، ومحـــل عـــدة وعديد ، وبلد لا يعتل فيه الا النسيم ، ومرأى يخجل منه الصباح الوسيم . كثيرة الجداول والمذانب ، مخضرة الجوانب . الى (110 : أ) الفواكه الكثيرة ، والكروم الاثيرة ، والسقى الذى يسد الخلة ، ويضاعف الغلة . وسندها معدن الحديد والحرير ، ومعقلها أهل للتاج والسرير . وهـــى دار أحساب ، وارث واكتساب ، وأدب وحساب . وماؤها مجاج الجليد ، وهواؤها يذكى طبع البليد . الا أن ضعيفها يضيق عليه المعاش ، وناقهها يتعذر عليه الانتعاش ، وشيخها يسطو على عصبة الارتعاش (178) . فهى ذات برد ، وعكس وطرد ، ما شئت من لحى راعد ، ومقرور علـــى الجمر قاعد ، ونفس صاعد ، وفتنة يعد بها واعد ، وشرور تسل الخناجر ، وفاجر يسطو بفاجر ، وكلف بهاجر (179) ، واغتمام تبلغ به القلوب الحناجر ، وزمهرير تجمد له المياه فى ناجر شهر (180) . وعنى ذلك فدرتها

---

176) وادى آش : هى« Guadix »تقع شمال شرق غرناطة ، على نهر « فردس » وتبعد عن غرناطة بنحو 55 كم .
راجع : الحميرى فى : « الروض المعطار » ص 192 ــ 193 نشر ليفـــى بروفنســـال

177) فى نسخة (ط) « ما ظهر » .

178) فى نسختى (ط ، س) « وشيخها يخطو على قصبة الارتعاش » .

179) الهاجر : الفحش والبذىء من القول .

180) شهر ناجر : كل شهر من شهور الصيف ، لان الابل تنجر فيه اى تعطش .

أسمح (181) للحالب ، ونشيدتها أقرب للطالب ، ومحاسنها أغلب والحكم للغـــالـــــب .

25 ـ « فنيـــانـــة » (182)

قلـــت : ففنيـــانـــة ؟

قال : مدينة ، وللخير خدينة ، ما شئت من ظبى غرير ، وعضب طرير (183) ، وغلة وحرير ، وماء نمير ، ودوام للخزين (184) وتعمير . الا أن بردها كثير ، وودقها نثير ، ووشرارها لهم فى الخيار تأثير .

26 ـ « مدينـــة غرناطـــة » (185)

قلت : نمدينـــة غرنـــاطـــة ؟

قال : حضرة سنية ، والشمس (بهـــا)عن مدح المادح غنيـــة ،

---

181) فى نسختى (س ، ر) « اسمع » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولكنهـــا فى نسختنا اصوب

182) هى« Finana »تقع ضمن متاطعة المرية على مسافة 30 كم . جنوب شرق وادى آش .
راجع : الحميرى فى « الروض المعطار » ، ص 172 حاشية 2 .

183) عضب طرير : سيف ذى حد مرهف .

184) فى نسختى (س ، ر) « للتخزين » .

185) هى Granada ومعناها « الرمانة » ، وهى شعارها التاريخى ، تقع فى واد عميق ، يمتد من المنحدر الشمالى الغربى لجبال « سييرانيفادا » ويحدها من الجنوب نهر شنيل فرع الوادى الكبير ، ويخترق فرعه « حدره » المدينة من الوسط ، والى يمينه يقع حى البيازين ، ومعظم المدينة الحديثة ، وتقع قصبة الحمراء فى الناحية الاخرى . وقد سقطت غرناطة بالتسليم فى يد الملكـــين الكاثوليكيين « فرناندو وايزابيلا » فى 2 يناير 1492 م (2 ربيع الاول 897 هـ). وهى خاتمة الفتوح التى توجت حروب الاسترداد la Reconquista لذلك تحظى

غـرنـاطـــة

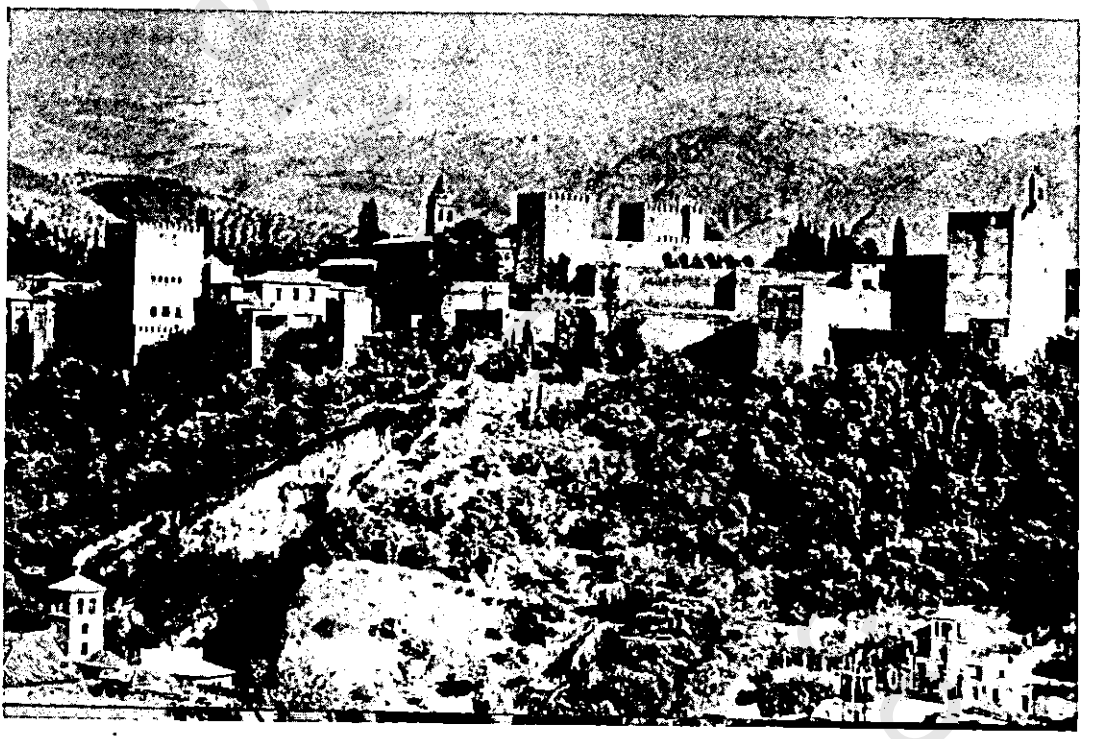

الحمـراء وقلعـتـهـا

كبرت عـن قيل وقـال ، وجلت عـن (110 : ب) وامـق (186) وقال (187) ، وقيدت العقل بعقال ، وأمنت حال حسنها من انتقال . لو خيرت فى حسن الوضع لما زادت وصفا ، ولا أحكمت رصفا ، ولا أخرجت

غرناطة بمنزلة خاصة فى نفوس الاسبان ، وفى التاريخ الاسبانى كذلك ، فهى المرقد الابدى لغانيحها الكاثوليكيين ، كما حباها ملوك اسبانيا بعنايتهم ، وفى مقدمتهم الامبراطور « شارلكان » الذى أسس جامعتها الشهيرة . وغرناطة اليوم ولاية ومدينة ، فكونها ولاية تشمل مساحة قدرها 5.000 ميل مربع يحدها البحر من الجنوب ، ومن الشمال ولايات قرطبة وجيان ، ومن المشرق ولايتا المرية ومرسية ، ومن الغرب ولاية مالقة ، وتخترقها وتظللها جبال الثلج « سييرانيفادا » ويرويها كل من نهر الوداى الكبير وفرعه نهر شنيل ، وجوها حار ، ولاسيما فى الوديان المنخفضة ، وباردة فى التلال ، وتربتها خصبة جدا ، ولاسيما فى المغرب والجنوب ، ويبلغ سكان الولاية 1.500.000 نسمة تقريبا ، ويتبعها من المدن : وادى آش ، واشكر ، ومترايل ، والحامة ، وسنتافى ، ولوشه ، وحصن اللوز ، ومونتى فريو ، واجيجر ، وبسطة ، والمنكب ، وارجية ، وشلوبانية . وغرناطة العاصمة حاليا ثلاثة اقسام ، هى: انتكيرويلا ، وغرناطة ، والبيازين . وهى مدينة زراعية صناعية ، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالى 170.000 نسمة ، وتمتاز بكثرة منشآتها العلمية والفنية ، وقد تاسست جامعتها عام 1531 م فى عصر الامبواطور شارلكان ، وقد بارك المشروع « البابا كليمنت السابع » واصدر مرسوما بانشاء الجامعة التى تشتمل على كليات ، هى : الفلسفة والآداب ، والعلوم ، والحقوق ، والطب ، والصيدلة . ويلحق بكلية الآداب ــ معهدان هما : معهد تاريخ الملكين الكاثوليكيين ، وقد انشىء عام 1943 م ، والثانى مدرسة الابحاث العربية بغرناطة ، والتى تعمل بالتعاون مع مدرسة « بيجيل آسنسن » للدراسات العربية بمدريد ، ويصدران معا « مجلة الاندلس » ، وبغرناطة عدة متاحف ، منها متحف الحمراء ، والمتحف الاثرى ، ومتحف البلدية . أما المعالم والآثار الاندلسية الباقية فهى : الحمراء ، وجى البيازين ، وميدان باب الرملة ، والقيسرية ، والمدرسة ، والخان ، والابواب والاسوار ، وقصر شنيل .

راجع : رحلة ابن بطوطة لهذه المدينة ، ج 2 ص 1187 ، 68 ــ 27 ، وكذا : Simonet, OP. Cit.

186) الوامق : المحب .

187) القال : الكاره .

فنـــاء الاسود (قصر الحمراء)

أرضها ريحانا ولا عصفا (188) ، ولا أخذت بأشتات المذاهب ، وأصناف المواهب جدا و (لا) قصفا . كرسيها ظاهر الاشراف، مطل على الاطراف، وديوانها مكتوب بآيات الانفال والاعراف ، وهواؤها صاف ، وللانفاس مصاف . حجبت ـ الجنوب عنها ـ الجبال ، فأمن (189) الوباء والوبال ، وأصبح ساكنها عير مبال، وفى جنه من النبال، وانفسحت للشمال (190) ، واستوفت الشروط على الكمال ، وانحدر منها مجاج الجليد على الرمال . وانبسط ـ بين يديها ـ المرج الذى نضرة النعيم لا تفارقه ، ومدارى النسيم تفلى بها مفارقه . ريع من واديه بشعبان مبين ، ان لدغ تلول شطه تلها للجبين ، وولدت حيات المذانب عن الشمال واليمين (191) ، وقلد منها اللبات سلوكا تأتى (192) من الحصباء بكل در ثمين ، وترك الارض مخضرة ، تغير من خضراء السماء ضرة ، والازهار مفترة ، والحياة الدنيا ـ بزخرفها ـ مغتـــرة .

أى واد أفـــاض مـــن عـــرفـات
فـــوق حمـــرائهـــا أتـــم أفاضـــة

(111 : أ) ثم لما استقـر بالسهل يجرى
شـــق منهـــا بحلـــة فضفـاضـــة

كلمـــا انســـاب كـــان عضبـــا صقـــلا
واذا مـــا استـــدار كـــان مفاضـــة (193)

---

188) العصف : ورق الزرع .
189) فى نسخة (س) « فامنت » .
190) الشمال : رياح الشمال .
191) فى نسخة (س) « وولد حيات المذانب تأتى من الشمال واليمين » .
192) فى نسختى (ر ، س) « تأثر » ، وهكذا أوردها سيمونيت ، والصـــواب فى نسختنا .
193) مفاضـــة : درع .

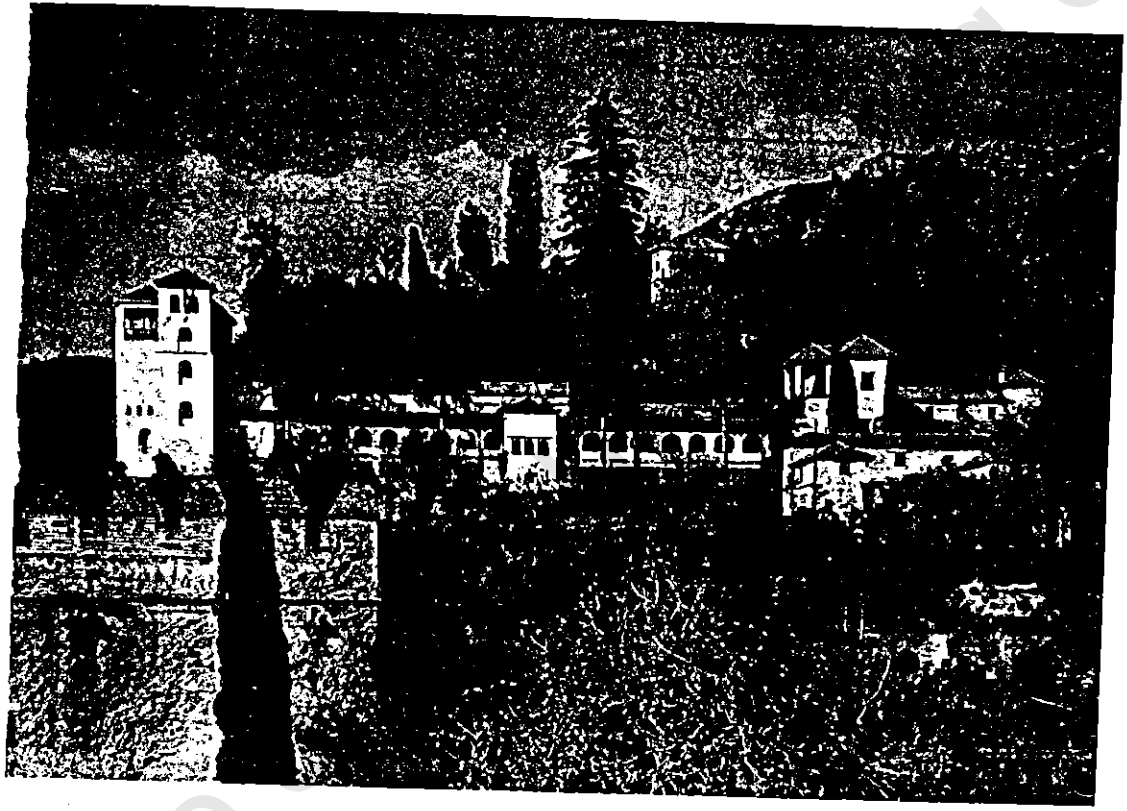

قصر جنـة العريف من الخارج
(الحمـــــراء)

فتعددت القرى والجنات ، وحفت ــ بالامهات منها ــ البنــات ، ورف النبات ، وتدبجت الجنبات ، وتقلدت اللبات ، وطابت بالنواسم المهبات ، ودارت بالاسوار دور السوار المنى والمستخلصات ، ونصبت ــ لعرائس الروض ــ المنصات ، وقعد سلطان الربيع لعرض القصات ، وخطب بلبل الدوح فوجب الانصات ، وتموجت الاعناب ، واستبحر ــ بكل عذب الجنا ــ منها الجناب ، وزينت السماء الدنيا من الابراج العديدة بأبراج ، ذات دقائق وأدراج ، وتنفست الرياح عن أراج ، أذكرت الجنة كل امل ما عند الله وراج .

وتبرجــت بحمرائهــا القصــور مبتسمــة عن بيــض الشرفات ، سافرة عن صفحات القبات المزخرفات . تقذف ــ بالانهار من بعــد المرتقى ــ فيوض بحورهــا الزرق ، وتناغى ــ أذكار المــآذن بأسمارها ــ نغمات الورق . وكم أطلعت من أقمار وأهلة ، وربت مــن ملوك جلة ، الى بحر التمدن (194) المحيط الاستدارة ، الصادر عن الاحكام والادارة ، ذى المحاسن غير المعارة ، المعجزة لسان (111 : ب) الكناية والاستعارة ، حيث المساجد العتيقة القديمة ، والميازب الحافظة للرى المديمة ، والجسور العريضة ، والعوائد المقدرة (**تقدير الفريضــة ، والاسواق المرقومة الاطواق**) (195) بنفائس الاذواق ، والوجوه الزهر ، والبشرات الرقاق ، والزى الذى فاق زى الآفاق ، وملأ قلوب المؤمنين بالاشفــــاق :

بلــد جللهــا اللــــه حسنــا وسنــــى
وأجــر السعــد من حــل لديها رسنــا

---

194) وردت هذه العبارة فى نسختى (ط ، ر) هكذا : « الى التمديــن المحيــط الاستدارة » كما أوردها بهذا سيمونيت ، ولعلها فى نسختنا أوفى

195) هذه الزيادة بين القوسين وجدتها فى نسختنا فقط .

بـركـة الـبـرطـل
(الـحـمـراء)

قـد أجنت سكرا جمـا ورزقا حسنـا
أعجزتعن (196) منتهىالفخر البعيد السنا(197)

يروقك فى أطرافها حسن الصور وجمالها ، وظرف (198) الصنائع وكمالها ، والفعلـة وأعمالهـا ، حتى الاطـلال وانهما لها ، والسـؤال واسمالهـا (199) :

كـل عليه مـن المحاسن لمحـة فى كـل طـور للوجود تطـورا
كالروض يعجب فى ابتداء نباتـه واذا استجم به النبات ونـورا
واذا الجمال المطلق استشهدتـه ألغيت مـا انتحل الخيـال وزورا

(112 : أ) ثم قال : أى أمن (200) عرى من مخافة ، وأى حصافـة لا تقابلها سخافة ، ولكل شىء آفة . لكنها ــ والله ــ بردها يطفىء حر الحياة ، ويمنع الشفاه عـن رد التحيات ، وأسعارها يشعر معيارهـا بالترهات (201) ، وعدوها يعاطى كئوس الحرب فهاك (202) وهات . الى السكك التى بان خمولها ، ولم يقبل الموضوع محمولها ، والكرب الذى يجده الانسان فيها ، صادف اضافة أو ترفيها ، والمكوس التى تطرد البركة وتنفيها . الى سوء الجوار ، وجفاء الزوار ، ونزالة الديار ، وغلاء الخشب والجيار ، وكساد المعايش عند الاضطرار ، واهانة المقابر وهى دار

---

196) فى نسخة (ر ، ى) « من » .
197) فى نسخة (ط) « السعيد لسنا » ، ولكن هذا الشطر الاخير يناسبه ما ورد فى نسختنا ، حيث يستقيم به المعنى .
198) فى نسخة اخرى « وطرفة » .
199) السؤال : ج سائل . والاسمال : البالى من الثياب ، وهى مبالغة تكاد تكون غير معقولة .
200) فى نسخة (س) « آمن » .
201) الترهات : ج ترهة ، وهى الاباطيل .
202) فى نسخة (ط) « بهاك » .

جنة العريف
(الحمراء)

القرار ، وقصر الاعمار ، واستحلال الغيبة فى الاسمار ، واحتقار أولى الفضل والوقار ، والتنافس فى العقار ، والشح فى الدرهم والدينار ، باليم والنـــــار (203) .

ثم قال : اللهم غفرا ، وان لم نقل كفرا ، « ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (204) » . ولله در أبى العتاهية (205) حين يقـــــول :

أصبحت الدنيـا ــ لنـا فتنـة والحمـد للـه علـى ذالكـــا
اجتمـع النـاس علـى ذمهـــا وما نرى ــ منهم لهـا ــ تاركـا

---

203) فى نسختى (س ، ر) « واليم » وهكذا أوردها « سيمونيت » ، ولعل الصواب فى نسختنا .

204) آية : 48 من سورة النساء .

205) أبو العتاهية : هو اسماعيل بن القاسم ، شاعر الزهد العربى فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، من بلدة عين التمر بالانبار غرب الكوفة . وقد وقد ولد حوالى عام 130 هـ (747 م) ، ومات حوالى عام 210 هـ (825 م) درس اللغة العربية والادب ، ثم اتصل بالمهدى والهادى والرشيد والمامون، اشتهر شعره بالزهد فى أواخر حياته ، وخاصة عندما بلغ الخمسين ، وكان للرشيد جارية تسمى « عتبة » عشقها ابو العتاهية فى شبابه ، وتصبب بها كثيرا ، وخاصة فى بدء قصائده التى مدح بها الرشيد ، وكان حائرا بين مذاهب الشعر التى عاصرها ، ولكنه استقر أخيرا على شعر الزهد فأجاده .
راجع : مجلة الرسالة المصرية ــ العدد 3 عـــام 1953 م « شاعرنـــا العالمى أبو العتاهية » ــ لعبد المتعال الصعيدى .
ثم « أبو العتاهية » لمحمد أحمد برانق ــ القاهرة 1947 م .

27 ـ « الحمـــــة » (206)

قلت : فالحمـــــة ؟

قال : أجل ، الصيد (207) والحجل ، والصحة (208) وان كـان المعتبر (112 : ب) الاجل ، وتورد الخدود وان لم يطرقها الخجـل . والحصانة عند الهرب من الرهب ، والبر كأنه قطع الذهب . والحمة التى حوضها يفهق (209) بالنعيم ، مبذولة للخامل والزعيم ، تمت ثنيتها بالنسب الى ثنية النعيم . قد ملأها الله اعتدالا ، فلا تجد الخلق اعتياضا عنها ولا استبدالا ، وأنبط صخرتها الصماء عذبا زلالا ، قد اعتزل الكدر اعتزالا . لكـن مزارعها لا ترويهـا الجداول ، ولا ينجدها الا الجـود المزاول (210) ، فان أخصب العام أعيا (211) الطعام ، وان أخلـف الانعام ، هلكت الناس بها والانعام . والفواكه يطرف بها الجلب ، وتزر عليها العلب ، وعصيرها لا يليق بالأكل ولا يصلح للحلب ، وبردها شديد وان لم يقض بـه المنقلـب .

---

206) الحمة : هى Alhama بلدة صغيرة تقع قرب مدينة بجانة من أعمال المرية ، وقد اطلق عليها العرب هذا الاسم نسبة الى العين الحارة الموجودة بها ، والتى هى مقصد كثير من ذوى العلل والاسقام .
كما يقصد السياح اليوم هذه المدينة للاستشفاء بعينها ، وما تزال بهـا الحمامات العربية والعين حتى الآن .
راجع : الحميرى فى « الروض المعطار » ص 39 ، وابن بطوطة فى رحلتـه ج 2 ص 187 .

207) فى نسخة اخرى « الصحة » .

208) فى نسخة (س) « والصيد » ، وهو ما لا يتناسب والسياق بعد .

209) يفهـق : يمـر .

210) الجود المزاول : المطر الغزير المعالج .

211) يحتمل معنى (اعيا الطعام) اعجز الناس عن حمله لكثرته ووفرته متى أخصب العـام .

28 ـ « صالحـــة » (212)

قلت : فصـالحـــة ؟

قال : لولا أنها مناخ لم تذكر ، فليس مما يذم ولا مما يشكر ، وان كان ماؤها فضيا ، ووجه جوها وضيا ، وعصيرها مرضيا ، ورزقهـا أرضيا ، وفضلها ذاتيا لا عرضيا . فهي مهب نسف ، ودار خسف ، وأهلها بهم ، ليس ـ لأحد منهم ـ فهـم .

29 ـ « أليـرة ومنتفـريـد » (213)

قلت : فأليرة ومنتفريـد ؟

قال : بلد ارتفاق (214) ، باجماع واتفاق ، معدن البر الذكى ، والصيد الزكى ، وهد شاهق ، ومصرخ ناهق ، ومعدن بر فائق ، ان لـم يعق ـ من عدو القلعة ـ (113 : أ) عائق .

30 ـ « لـوشـــة » (215)

قلت : فلـوشـــة ؟

قال مرأى بهيج ، ومنظر يروق ويهيج ، ونهر سيال ، وغصن مياد ، وجنات وعيون ، ولذات لا تمطل بها ديون ، وجداول تنضح بها الجوانح ،

---

212) صالحة : مدينة زالت معالمها منذ اواسط القرن السادس عشر الميلادى ، يطلق عليها الكتاب الاسبان اسم Zalea موقعها قديما كان قرب الحمة .

213) اليرة Illora ومنتفريد Montefrio تقع المدينتان شمال مدينـــة لوشـــة . Loja.

214) ارتفاق : استقرار واعتماد .

215) راجع ما كتباه عن هذه المدينة بأول الكتاب ، عند التعريف بالمؤلف ، فهـــى مسقط راسه .

ومحاسن يشغل بها عن وكره السائح ، ونعم يذكر ـ بهـا ـ المانع المانح . ما شئت من رحا يدور ، ونطف تشفى ـ بهـا ـ الصدور ، وصيد ووقود ، وأعناب كما زانت اللبات عقود ، وأرانب تحسبهم أيقاظا وهم رقود (217) . الى معدن الملح ، ومعصر الزيت ، والخضر المتكفلـة بخصب البيت ، والمرافق التى لا تحصر الا بعد الكيت . والخارج الذى عضد مسحة الملاحة ، بجدوى الفلاحة . الا أن داخلها حرج الازقة ، وأحوال أهلها مائلة الى الرقة ، وأزقتها قذرة ، وأسباب التطوف (218) بها متعذرة ، ومنازلها ـ لنزائل الجند ـ نازلة ، وعيون العدو ـ لثغرها الشنيـب (219) ـ مغازلـــة .

31 ـ « ارجـذونـــة » (220)

قلت : فأرجـذونـــة ؟

قال : شر دار وطلل لم يبق منه غير جدار ، ومصام يرجع البصـر عنه وهو حاسر (221) ، وعورة ساكنها ـ لعدم الماء ـ مستأثرة (222). وقومها ذو بطر وأشر ، وشيوخها ـ تيوس فى مسالخ بشر ، طعام مـن

---

216) اقتباسا من قوله تعالى : « وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » الكهف : 18 .

217) فى نسخة (ط ، س) « ومعاصر » .

218) فى نسخة (ط) « التصرف » .

219) الثغر الشنيب : ما كان أبيض الاسنان حسنها ، ويقصد صفحة المدينـــة الجميلة .

220) ارجذونة : هى حاليا Archidona بلدة متوسطة تتبع ولاية مالقة التى لا تبعد عنها كثيرا .

221) اقتباسا من قوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئـا وهو حسير » الملك : 4 .

222) مستأسـر : قابـض .

يقوت منهم أو يعول ، التيوس والوعول ، وحرثها مغل ، (113 : ب) وخلقهـا حسـد وغـل .

32 ـ « أنتقيـــرة » (223)

قلت : فأنتقيـــرة ؟

قال : محل الحرث والانعام ، ومبذر الطعام ، والمرآة التى يتجلى بها وجه العام ، الرحب والسهل ، والنبات والطفل ، والهشيم والكهل ، والوطن والاهل . ساحت الجداول فى فحصها الافيح وسالت ، وانسابت حيات المذانب (224) فى سقيها الرحب الجوانب وانسالت . لا تشكو مـن نبـو ساحة ، ولا تسفر الا عن ملاحة ، ولا تضاهى فى جدوى فلاحة ، وعظـم ملاحة . الا أنها جرداء الخارج ، بل مارد ومارج (225) . وشدة فرجها فارج . لا تضبطها المسلحة للاتساع ، والدرع الوساع ، قليلة الفواكه ، عديمة الملاطف والمفاكه . أهلها أولو شرور وغرور ، وسلاح مشهور ، وقاهر ومقهـور ، لا تقبل غريبا ، ولا تعدم (226) من العدو تثريبا .

---

223) انتقيرة : هى حاليا Antequera احدى مدن الاندلس القديمة ، تبعد عن مالقة بحوالى 60 كم ، وهى عبارة عن حصون بين مالقة وغرناطة . ينسب اليها : الحكيم ابو بكر يحيى بن محمد بن يحيى الانصارى الانتقيرى .
راجع : معجم البلدان ـ للحموى ـ ج 3 ص 259 .

224) المذانب : ج مذنب بوزن منبر ، وهو جدول الماء ذو المسيل الضيق .

225) المارد : العاتى القاسى ، والمارج : الشعلة ذات اللهب الشديد .

226) فى نسخة (س) « عن » بدل « من » .

33 ـ « ذكـــــوان » (227)

قلت : فذكـــــوان ؟

قال : روض وغدير ، وفواكه جلت عن التقدير ، وخورنق وسدير (228) ، ومائدة لا تفوتها فائدة . دارت على الطحن أحجارها ، والتفت أشجارها ، وطاب هواؤها ، وخفق بالمحاسن لواؤها . الا أنها ضالـــة ساقطة ، وحبة ترتقب لاقطة ، لا تدفع عن قرطها وسوارها بأسوارها ، ولا تمنع نزع صدارها بجدارها ، وقضت بغلة (114 : أ) أعيانهـا حداثة بنيـانهـا .

34 ـ « قـرطمـــة » (229)

قلت : فقرطمـــة ؟

قال : الكرك (230) ، الذى يؤمن عليه الدرك (231) ، وان عظـم المعترك . جوها صاف ، فى مشتى ومصطاف ، وتربها للبر مصاف ، وعصيرها

---

227) ذكوان : عبارة عن حصن يسمى « Coin » موقعه غرب مالقـة ، يرجـع تاسيسه الى ايام عبد الرحمن الثالث الاموى ، اعظم واشهر ملوك بنى امية (300 ـ 350 هـ = 912 ـ 961 م) ، ويروى ابن عذارى أن السبـب فى اقامته هو مواجهة حصون عمر بن حفصون وأولاده ، الذين اعلنوا عصيانهم لحكومة قرطبة .
راجع : ابن عذارى فى « البيان المغرب » ج 2 ص 189 وكذا :
Simonet Op. cit. p. 81

229) الخورنق والسدير : قصران ينسبان فى التاريخ للنعمان بن المنذر ملـــك الحيرة ، وتنسج حولهما طرائف .
راجع : الحموى فى معجم البلدان ج 3 ص 54 ، والاغانى للاصفهانـــى ج 2 ص 144 .

229) قرطمـــة : هى بالاسبانيـــة « Cartama » ، احدى مدن الاندلس الصغيرة .

230) الكرك : نوع من الطير .

231) الدرك : الحراسة .

رنـــــــدة

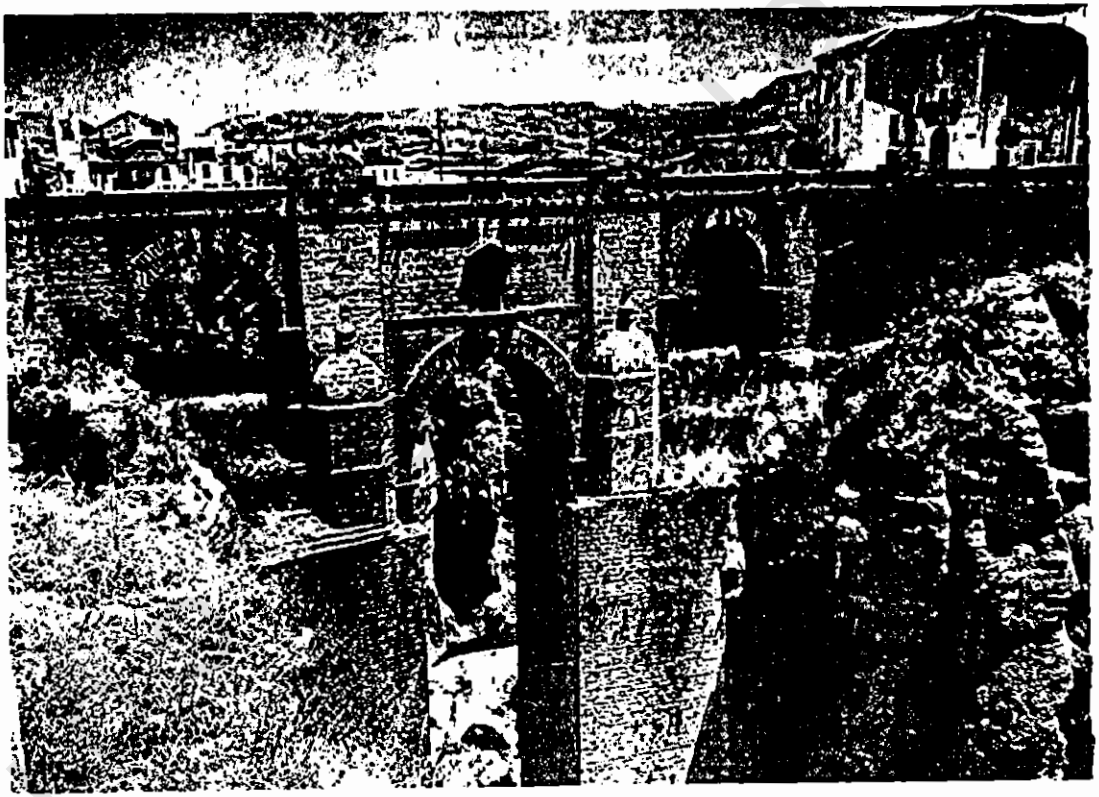

القـنـــطـــرة العربيـــة

بالكثرة ذو اتصاف . الا أن الماء بمعقلها مخزون ، وعتاد موزون ، وأهلها فى الشدائد لا يجزون ، أيديهم ــ بالبخل ــ مغلولة ، وسيوف تشاجرهم مسلـولـــة .

35 ــ « رنـــــدة » (232)

قلت : فـرنـــدة ؟

قال : أم جهات وحصون ، وشجرة ذات غصون ، وجناب خصيب ، وحمى مصون . بلد زرع وضرع ، وأصل وفرع ، مخازنها بالبر مالية ،

---

232) رندة : هى « Ronda » تقع غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية، كما كانت من أهم مدن غرناطة ، وتعتبر الحصن الذى يحمى مالقة من ناحية الغرب ، ولذلك لما سقطت رندة فى يد الاسبان فى ابريل 1485 (جمادى الاولى 890 هـ) ، أضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة ، فقد سقطت بعد قليل فى أيديهم فى اغسطس 1487 م (شعبان 892 هـ) . وهى تشـرف على منطقة عالية من الربى ، ويشقها من وسطها وادى ليبين Guadalebin وقد وصف ابن بطوطة مدينة رندة حينما زار الاندلس عام 1350 م بقولـه : « وهى من امنع معاقل المسلمين وأجملها وصفا » ، ويبلغ سكان رنـــدة حاليا اكثر من 35.000 نسمة ، فهى مدينة متوسطة الحجم ، ويغلب عليها طابع القدم والبساطة ، وعليها المسحة الاندلسية . هذا ، وأهم المعالـــم والآثار الاندلسية الباقية بها أطلال القصبة الشهيرة ، والقنطرة العربية عند مدخل المدينة الغربى ، وهى ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامـــات العربية ، وهى أطلال دارسة من حمامات اندلسية قديمة ، على مقربة من الكنيسة العظمى ، وكذلك من الآثار « المنارة » فى نهاية المدينة ، ويبلـغ طولها حوالى 12 مترا ، والظاهر أنها من أيام الموحدين لشبهها بمآذنهم ، ثم قصر الامير ابى مالك ، ويعرف فى رندة باسم« Casa del Gigante » وهو اسم الاسرة التى تملكه ، ويقع القصر فى طرف المدينة الجنوبى ، وكذلك باب المقابر Puerta de Almocabar ويقع فى حى فرانسسكو . وينسب الى هذه المدينة الفقيه ابن عباد الرندى .

راجع ما كتبه ليفى بروفنسال عن هذه المدينة الاسلامية فى
Enc. ISI. III, P. 1254 ومجلة الاندلس Al-Andalus (1944) 472.

رنـــــــدة

بـــاب المـــقـــابـــر

obeikan.com

وأقواتها جديدة وبالية ، ونعمها ــ بجوار الجبل ــ متوالية . وهى بلد أعيان وصدور (233) ، وشموس وبدور ، ودور أى ودور ، وماء واديها يتوصل اليه فى جدور ، محكم مقدور . وفى أهلها فضاضة (234) وغضاضة (235) ، ما فى الكلف بها غضاضة (236) ، يلبس نساؤها الموق (237) ، على الاملد المرموق ، ويسفرن عن الخد المعشوق ، وينعشن قلب المشوق ، بالطيب المنشوق . الا أن العدو طوى ذيل بردها ، وغصب بنيانها ، وكيف السبيل الى ردها ، وأضاق خارجها ، وخفض معارجها ، وأعلى طائرها ودارجها (238) .

فلما بلغ هذا الحد قال : هل اكتفيت ؟ فقد شرحت صدرك (114 : ب) وشفيت ، وبما طلبت منى قد وفيت . يا بنى كأنى بالصباح السافر ، وأدهم الظلام النافر ، قد أجفل أمام مقنبه (239) الوافر ، وترك من الهلال نعل الحافر . ونفسى مطيتى ، وقد بلغت الليلة طيتى (240) ، وأجزلت عطيتى ، فلنجم بالحمض (241) ، ونلم بالغمض ، وأنا بعد

---

233) فى نسخة (ط) « وجدور » ولعل الصواب فى نسختنا .

234) فضاضة : سعة الصدر .

235) غضاضة : حلم .

236) غضاضة : حط من القدر . وفى (س) ما فى الكلف بها « حضاضة » ، اى : ما فى الكلف بها شىء .

237) الموق : خف غليظ تلبسه النساء فوق خف ارق منه .

238) كناية عن ان العدو بغاراته يثير طيورها فتعلو فى الجو ، وفى الوقت نفسه يثير غبار طرقها .

239) المقنب : الوعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده .

240) طيتى : حاجتى .

241) فلنجم بالحمض: الحمض هو الفاكهة، والابل لها طعامها ولها حمضها، ويقصد بالتعبير : المذاكرة .

نزيلك ، ان سرنى جزيلك ، وعديلك ان ضحك الى منديلك ، وسميرك ان روانى نميرك . فبادرت البدرة ففضضتها ، والصرة فافتضضتها ، والعيبة (242) فنفضتها ، والمعادن فأفضتها . فقال : بوركت من مواس، وانشد قول أبى نواس (243) :

ما من يد فى الناس واحدة كيد أبو العباس (244) أولاها
نام الثقات على مضاجعهم وسرى الى نفسى فأحياها

ثم قال : نم فى أمان ، من خطوب الزمان ، وقم فى ضمان ، من وقاية الرحمن . فلعمرى وما عمرى على بهين ، ولا الحلف على بمتعين ، لو كان الجود ثمرا لكنت لبابه ، أو عمرا لكنت شبابه ، أو منزلا لكنت بابه .

فما هو الا أن كحلت جفنى بميل الرقاد ، وقدت طرفه سلس المقاد، وقام قيم الخان الى عادة الافتقاد ، وبادر سراجه بالايقاد ، ونظرت

---

242) العيبة : الزنبيل .

243) ابو نواس : هو الشاعر أبو الحسن بن هانىء الفارسى الاصل ، المولود عام 140 هـ (747 م) عاصر هارون الرشيد الخليفة العباسى ثم ابنه الامين ، فكان شاعرهما . اشتهر بمجونه وتهتكه ، وكثيرا ما حبساه لظهور ذلك فى شعره ، توفى بعد مقتل الامين عام 199 هـ (813 م) ببغداد . ويعتبر ابو نواس ممثل المدرسة الشعرية الحديثة ، وقد ظهر تجديده فى خمرياته وغزله بالمذكر . فهو فى هذين المجالين خصب الفكرة ، واسع الخبرة ، بحيث يستطيع ان يتغنى بمحاسنهما فى صور متجددة .
راجع : ديوان أبى نواس « المقدمة » ج 1 ص 248 ، نشر وتحقيق ايفالد فاغر (القاهرة عام 1958 م) .

244) يعنى بأبى العباس الوزير « الفضل بن الربيع » المكنى بأبى العباس . وابو نواس بهذين البيتين يمدح أبا العباس هذا ، بعد ان تم اطلاقه من السجن على يده . وقوله « وسرى الى نفسى .. » يعنى : سرى الممدوح الى نفسه فاحياها ، بعد أن انقذه من السجن .

(115 : أ) الى مضجع الشيخ ليس فيه الا زئبر أطماره (245) ، وروث حماره ، فخرجت لايثاره ، مقتفيا لآثاره ، فكأن الفلك لفه فى مداره ، أو خسفت الارض به وبداره (246) ، وسرت وفى قلبى ــ لبينه وذهاب أثره وعينه ــ حرقة ، وقلت متأسيا : لكل اجتماع من خليلين فرقة .

245) زئبر اطماره : اثر ثيابه البالية .

246) اقتباسا من قوله تعالى : « فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » سورة القصص ، آية: 81.

obeikandl.com